مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٤		٢٧ شهر رجب سنة ١٣٧٣

تفكيرنا الشعري

اجتمع في ايلول الماضي في جامعة «برنستون» وهي واقعة في ولاية «نيوجرسي» في الولايات المتحدة رجال مؤتمر الثقافة الاسلامية ، فرحّب بهم عميد أساتذة الجامعة في قاعة مشهورة وأتى على تاريخ هذه القاعة في شيء من الاختصار ، ثم صعد المنبر أستاذ فاضل من الشرق ورحّب باللغة العربية ، وقد كان الأستاذ المومأ اليه قد وصل الى «برنستون» قبل ساعات من اجتماع المؤتمر ولم يك يعلم أنه سيكون له كلمة ترحيب ، فلما استقرّ به المنبر قال : لمّا وصلت الى مطار «نيويورك» أبلغت أني في جملة الخطباء فصعقت ...

ان هذا الأستاذ يرتجل الكلام من خمس وعشرين سنة فهو مدرّب على مثل هذا الارتجال ولا يصعب عليه أن يقول كلمة لا تستغرق خمس دقائق وقد قالها ولم يظهر عليه أثر الصعق ، ولكنَّ استعمال الألفاظ التي تشتمل على كثير من المبالغات انما هو من خصائصنا معاشر أهل الشرق ، يقال في لغتنا : صعق كسمع : غشي عليه ، ومن مشتقات هذه المادة : الصاعقة ، ومن معاني الصاعقة

الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمحراق الذي بيد الملك سائق السحاب ولا يأتي على شيء الا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء ...

فلينظر القارئ في المعاني المختلفة التي تدلُّ عليها هذه المادة ومشتقاتها وحسب هذه المعاني أن يدخل فيها الموت أو العذاب أو نار السماء حتى نشعر بشدتها فاذا كان أحدنا يصعق أي يغشى عليه من أجل ارتجال كلمة لا تستغرق دقيقتين أو ثلاث دقائق وهو مدرّب على الارتجال فكيف تكون حالته اذا نزلت به نازلة من نوازل الدهر وأراد الافصاح عنها ، بأي لفظ يفصح عن هذه النازلة اذا أُصيب بفقد عزيز أو بمرض عضال أو بضياع ماله أو اذا أُصيب بوطنه أو بأمثال هذه الشدائد .

لا شك في أن اللغة في مثل هذه الحال تعجز عن هديه الى مادة من موادها يعرب بها عن فكره أو شعوره أو عاطفته فاذا كان أحدنا يعرب عن مفاجأة بسيطة بقوله : صعقت ، فبأي مادة يعرب عن هذه الأمور التي أتيت على ذكرها ، من هذا يتبين لنا أنا في كثير من الأحوال نعطي المعاني أكثر مما تستحق من الألفاظ ، وما هي نتيجة هذا العطاء ، من نتائجه أن الألفاظ تنخر وتبلى على مرّ السنين فلا يبقى لها أثر في الأذهان والقلوب وهذا ما يحمل بعض أكابر الشعراء والكتاب من عصر الى آخر على تحويل ألفاظ من معنى الى معنى حتى يجدوا فيها عوضاً عن الألفاظ النخرة البالية ، ولولا هذه التحويلات في اللغة لما وجد أحدنا سبيلاً الى التعبير عن فكر أو شعور بلفظ يصور هذا الفكر والشعور في حقيقة صورتيهما دون زيادة أو نقصان .

من أيام استأنفت التدريس في كلية الآداب وأذكر أني نقلت في فاتحة المحاضرات قول أحد العلماء : اليد ! اللغة ! هذه هي البشرية ، وقد فصّل هذا العالم رأيه بعض التفصيل فقال :

ان الذي طبع به آخر أفق من آفاق الحيوان وأول أفق من آفاق البشر انما هو اختراع اليد واللغة ، فاليد عنوان تقدم المنطق العملي ، واللغة عنوان تقدم المنطق العقلي .

فاللغة على نحو ما قرّره علماؤها في هذا العصر انما هي أغرب ما وصلت اليه البشرية من الاختراعات في أطوارها واذا كنت لا أريد الكلام على مهمتها وعملها في نموّ العقل ، أو على علائق الفرد والجماعة في إنشاء هذه الآلة الثمينة وفي تحسينها ، فأنا أحب الاستشهاد في هذا الباب بورقة تكاد تكون أبلغ ما كتب في الدلالة على منزلة الألفاظ ، قال كاتب هذه الورقة :

« قلت لكم إنني أحب معجمات اللغة ، فأنا لا أحبها لمجرّد فائدتها العظيمة ، ولكني أحبها لأنها تحتوي على شيء حسن ، نعم ، انظر الى معجم من المعجمات ، وتصور أنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك أن في هذه الأوراق التي يبلغ عددها ألف ورقة عبقرية بلادنا وطبيعتها ، ليتصور ذهنك أن فيها أفكارنا وأفكار أجدادنا ، أفراحنا وأفراحهم ، أعمالنا وأعمالهم ، آلامنا وآلامهم ، ليخطر ببالك أن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين نشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم ، ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك أن كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها » .

فاذا كان للألفاظ هذه المنزلة ، اذا كانت الألفاظ لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها ، أفلا يجدر بنا أن نعطيها مقامها في الكلام فلا نجعل لأفكارنا منها نصيباً أكثر من استحقاقها ، أو حظاً أقل من هذا الاستحقاق ، لقد كثر في أدبنا في القديم والحديث الغلوّ في التعبير فنحن نلبس المعاني لباساً أوسع

منها فكأنا لا ندرك الفكرة ادراكاً واضحاً الا اذا انتفخت ولهذا نجد في كثير من أقوال رجالات الشرق في أيامنا هذه نمطاً من هـذه الانتفاخات ، واذا كان لهذا النمط أثر فان أثره الوحيد انما هو إضعاف الفكرة المخبوءة من وراء الألفاظ الضخمة بحيث لا يبقى لهذه الفكرة قيمة ٠

ونحن اذا قابلنا بين عقليتنا في هذا العصر وبين عقليات الأمم التي كانت عنايتها بالمادة أشد من عنايتها باللغة الشعرية وجدنا لهذه الأمم عقلية ميكانيكية ، معنى هذا أنها لا تؤمن الا بالأفكار المصورة على حقيقتها دون شيء من الضخامة ، فاذا صورنا لها هذه الأفكار في صورة أضخم من الأفكار نفسها فهي لا تفهم منها شيئاً ، ولهذا يقع كثير من سوء التفاهم بين عقلية الشرق وبين العقليات الممتدة من وراء البحار ، ولا شك في أن لتلك العقليات البعيدة عنا لغة شعرية مثلنا ولكن أصحابها يفرّقون في حياتهم العامة بين اللغة الشعرية وبين لغة الأمر الواقع ، أما نحن فلا نزال نقحم الصور الشعرية في كثير من مخاطباتنا أي في حياتنا العامة ، وهذا الاقحام يضعف افكارنا وقد تكون حقاً فنجعلها باطلاً ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والجوء الى لغة الشعر في المخاطبات العامة من خصائص الشعوب السامية فبين هذه الشعوب وبين الشعوب الآرية اختلاف في تصوير الأفكار ، فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع أن يتجرّد من الصورة المادية التي تستره وتغطيه ولذلك فإنا نجد لغة التوراة لغة شعرية الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة فالذهن في الأمم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، أما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصوير الفكرة المجردة وادراكها ولعلنا نجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية لأن التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد ٠

على أن هذا الكلام لا يصح اطلاقه فان اللغة العربية اذا كانت لغة شعرية فقد كانت أيضاً لغة فلسفة واجتماع ، وحسبنا أن نذكر ابن رشد وابن سينا والغزالي وابن خلدون حتى ندرك صواب هذا القول ، إلا ان اللغة الشعرية غالبة على تفكيرنا ولهذا يعجّل التأخر والبلى على ألفاظنا لأن هذه الألفاظ الشعرية نضعها في كثير من المواطن في غير مواضعها فيضعف تأثيرها على الأيام حتى تموت ٠

وكما يقضي تفكيرنا الشعري على طائفة من الألفاظ فقد يضعف كثيراً من أفكارنا ولا سيما اذا خاطبنا أمماً تختلف مقادير عقولها عن مقادير عقولنا فبدلاً من أن نعرض على هذه الأمم أفكارنا بسيطة مجردة فانا نلبسها في بعض الأحيان ملابس قد تكون ضيقة عنها أو واسعة عليها فنخرج بها عن طبيعتها ونجعلها أضحوكة ، ولو جاز لي أن أستشهد ببعض أقوال منسوبة الى طائفة من رجالات الشرق فيها غلو كثير ومبالغة كثيرة لأتيت على طائفة من هذه الأقوال الضخمة التي تضيع فيها الفكرة المخبوءة تحتها أو يضعف تأثيرها ٠

ولا يستنبطن أحد من قولي أني أهجم على اللغة الشعرية وانما أريد أن أجعل تناسباً بين لفظنا وتفكيرنا فلا يغلب لفظ شعري على فكر لا يستحق هذا اللفظ ولا يضعف لفظ شعري عن فكر يستحق مثل هذا اللفظ ، واذا رجعنا الى خطب رجالنا في صدر الاسلام ولا سيما خطب الصحابة وبعض القواد والعمال وجدنا تناسباً عظيماً بين تفكير أولئك الرجال العظماء وبين لغتهم ، فالبساطة غالبة على هذا التفكير وهذه اللغة ، ولا ريب في أن البساطة إنما هي عنوان القوة فقد كانوا أقوياء فلم يحتاجوا الى التغني بقوتهم وانما عرضوا قوتهم في حقائق معارضها دون شيء من الانتفاخ فعملت عملها في القلوب ولا يحتاج الى ضخم الألفاظ الا الذي يشعر بأن فكره ضعيف فهو يريد أن يستر ضعفه بصورة شعرية ولكنه في الحقيقة لا يستر هذا الضعف وانما يكشفه ويفضحه ٠

واذا كان لا بد لنا من لغة شعرية في تفكيرنا فلنجعل هذه اللغة مناسبة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لما تصوره من الأفكار على الأقل ، فاذا استعملنا لفظاً شعرياً فلنستعمله في المقام المناسب له حتى يعمل عمله في القلوب وحتى لا يضعف أثره فينقلب سخرية .

وأظن أن كلام الله وحده هو خير مثل لذلك ، فان الله عزّ وجل اذا قال : اذا زلزلت الأرض زلزالها ، فأي شيء أشد من هذه الحركة ، ولا ريب في أن هذه الحركة تستوجب لفظاً يستطيع أن يصورها على حقيقتها ، وليس في اللغة على ما أظن لفظ أشد مناسبةً من هذا اللفظ : الزلزال ولذلك كان لهذه الصورة الشعرية عمل في القلوب ، وليتصور الانسان كيف يضعف تأثير هذا اللفظ العظيم اذا استعمله الانسان في موطن ضعيف الدلالة على فكرة ضعيفة كفكرة اضطراب ورد أو ياسمين ، فاذا قلنا : اذا زلزل الورد أو الياسمين ، فكيف تكون نتيجة هذا اللفظ .

اني لا أكتب مقالاً في البلاغة ، وانما خلاصة ما ذهبت اليه في هذا المقال انا كثيراً ما نضعف تفكيرنا وشعورنا بلغتنا الشعرية لأنا نضع هذه اللغة في غير مواضعها ، ففي كثير من المقامات يلزمنا أن نعرض أفكارنا في حقائق معارضها ، حتى تكون القوة من قوتها نفسها لا من قوة ألفاظها الزائفة ، واذا احتجنا الى اللغة الشعرية فليكن شيء من التناسب بين الصورة وبين اللون الذي نلوّن به هذه الصورة ، وبعبارة أوضح فلنكن أقرب من الحياة الواقعة ، فقد طال إمعاننا في البعد عن هذه الحياة .

شفيق جبري

أبو سفيان

كان أبو سفيان، واسمه صخر بن حرب، شيخ قريش وسيدها وكبير تجارها، تنزع اليه في الملمات، وتحتكم اليه في الخصومات، وتودعه أموالها، يتجر بها ويقاسمها شيئاً من ربحها؛ وكانت عنده راية قريش «العقاب»، يخرجها اذا حميت الحرب، ولكنه ما كره شيئاً مثل الحرب، فقد كان محباً للسلم، آية في الدهاء والحلم، فإذا جاء ابنه معاوية داهية حليماً، فقد أخذ الحلم عنه، وتعلم الدهاء منه.

روى صاحب (الأغاني) ان عائشة (رضي الله عنها) بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية، في حجر وأصحابه، فقدم عليه وقد قتلهم، فقال له:

— أين غاب عنك حلم أبي سفيان؟!

وجاء في سيرة ابن هشام: «كان أبو سفيان رجلاً حليماً مُنْكَراً [1]، يحب قومه حباً شديداً».

وقيل لأبي سفيان: ما بلغ بك من الشرف ما نرى؟

قال: ما خاصمت رجلاً، إلا جعلت بيني وبينه للصلح موضعاً!

وقال معاوية: «لو ولد أبو سفيان الناس، لولدهم كلهم أكياساً»!

هذه أقوال تشهد، كلها، لأبي سفيان بالحلم والعقل، ولكننا لا نكتفي بها، فهناك ما هو أقوى في الشهادة له من الأقوال: الأعمال والمواقف التاريخية!

(١) رجل مُنكَر: أي داهٍ فطن.

قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر ـ وكانت بنت أبي أزيهر زوجة لأبي سفيان وأم ابنه يزيد ـ فجمع يزيد بني عبد مناف والمطيبين وندبهم للثأر والقتال ، فاستجابوا له ، فلما بلغ أبا سفيان الخبر ، وكان بسوق ذوي المجاز (انحط سريعاً الى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ، ثم قال له : « قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشاً بعضها ببعض في رجل من دوس ؟ سنؤتيهم العقل إن قبلوه ! » ، وأطفأ ذلك الأمر) .

... ولما خرجت زينب (رضي الله عنها) بنت الرسول (ﷺ) من مكة ، تقصد أباها ، خرج معها حموها كنانة بن الربيع يحميها ، وكان يدفع عنها الناس بسهامه ، (فجاءه ابو سفيان في جلة من قريش ، فقال :

— أيها الرجل ، كف عنا نبلك وسهامك !

فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال :

— إنك لم تصب ! خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس اذا أخرجت ابنته اليه علانية على رؤوس الناس ومن بين أظهرنا أن ذلك عن ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثؤرة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلها سراً وألحقها بأبيها !) .

وهكذا كان ... فقد استجاب كنانة لنصح أبي سفيان ، وعاد بزينب فأقامت بمكة ليالي ، حتى اذا هدأت الأصوات ، خرج بها ، آمناً مطمئناً ، ليس بينه وبين أحد شر !.

ومن يتتبع مواقف أبي سفيان مع الرسول (ﷺ) يلمح من خلالها كلها ميله الشديد الى السلم ، فهو لم يعتد على الرسول (ﷺ) ولم يسفه دينه ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما فعل غيره من كبار قريش ، وكان أقصى ما يطلبه من الرسول أن يكف عن عيب آلهة قريش ، بل يذهب بعض المؤرخين الى أبعد من ذلك ، فيقولون إن أبا سفيان كان يحمي الرسول ، وأن الرسول حين فتح مكة وقال : «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» إنما وفّاه دينه ، فقد كان الرسول يدخل دار أبي سفيان بمكة فيأمن !

لم يخاصم أبو سفيان الرسول «أصالة» — وأستعمل هنا لغة المحاماة ! — وإنما خاصمه «نيابة» عن قريش ، وكان النزاع الأول بينهما ، بعد الهجرة ، حين عاد أبو سفيان من الشام بتجارة عريضة ، ومعه سبعون تاجراً من قبائل قريش كلها ، فتعرض لهم الرسول (ﷺ) فأرسل أبو سفيان الى مكة يطلب النجدة ، فخرج لنجدته وجوه قريش يقودهم عتبة بن أبي ربيعة ؛ وتوزع كبار قريش بين ابي سفيان ، صاحب العير — أي التجارة — وبين عتبة ، صاحب النفير — أي النجدة — ولم يتباطأ عنهما إلا بنو زهرة ، فقد آثروا القعود ، فقال فيهم أبو سفيان كلمته المشهورة : (لا في العير ولا في النفير) ! فذهبت مثلاً ، يقال للرجل الذي لا يُرى — أو لا يستحق أن يُرى — في مقام محمود ، لصغر قدره وحقارة أمره .

طلب أبو سفيان النجدة ، لا ليحارب ، ولكن ليحمي عيره ، فلما كتبت لها النجاة ، أرسل الى القرشيين يقول لهم : «إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا» . فقال أبو جهل : والله لا نرجع ! وتابعه القرشيون ، وأصروا على قتال الرسول (ﷺ) وأصحابه ، فكانت معركة (بدر) ، التي قتل فيها عتبة بن ابي ربيعة ، أبو هند ، زوجة ابي سفيان ، وعمها شيبة ، واخوها الوليد ، وابنها البكر حنظلة بن ابي سفيان ، أما ابو سفيان فلم يشهد هذه المعركة ، لأنه عاد بعير قريش وتجارتها الى مكة ، من قبل أن يلتقي الجمعان ، وفي مكة .. اخبروه بالمصائب التي حلت به وبقومه في (بدر) ، ولم تكن هذه المعركة برأيه ومشورته ، ولكنه كان مطالباً بالثأر ان شهدوها وقتلوا فيها ،

وفيهم ابنه وأقرب الناس اليه ، هذا الى أن عتبة ، الذي كان سيداً في قريش مثله ، قد حمله ، بعد موته ، عبء زعامته ودمه .

نذر ابو سفيان ألا يمس رأسه حتى يغزو محمداً ، و (خرج في مائتي راكب من قريش ليبر بيمينه) ، وقال : (وهو يتجهز خارجاً من مكة الى المدينة ، يحرض قريشاً) :

كروا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيدوا قبائل الأوس والـــخزرج إن الفؤاد مشتعل

وكانت تلك غضبته ... في الشعر .. ولكنه ، فيما يحدثنا الرواة ، أكتفى من غزوته بالإغارة على ناحية من المدينة يقال لها (العريض) ، حرق نخلاً فيها وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له ، ثم رجع وصحابه ! .. لم تشف هذه الغارة الهزيلة غليل قريش ، فذهبت الى أبي سفيان ، تسأله أن يجهز بالمال الذي جاء به من الشام حملة رهيبة ، ينتقم بها من المسلمين لأشراف قريش الذين قتلوا في بدر ، ففعل ، والتقى المسلمون والمشركون مرة أخرى في (أحد) ، فكانت الغلبة غير حاسمة للمشركين ، وقتل من المسلمين رجل يسمى «حنظلة بن الراهب» فقال أبو سفيان : حنظلة بحنظلة ! أي أنه اخذ ثأر ابنه حنظلة .. وقال أيضاً : يوم بيوم بدر ! معلناً بذلك انتهاء المعركة ! .. ثم مر بأصحاب الرسول (ﷺ) فقال لعمر بن الخطاب : (أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ! وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر . «لقول ابن أبي قميئة لهم إني قتلت محمداً» ، ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت ، ولا سخطت ، ولا نهيت ، ولا أمرت !) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا ... أطفأ أبو سفيان النار التي كانت تشتعل في قلبه .. فلم تكن غايته أن يبيد المسلمين ، وإنما كانت غايته أن يسجل « إصابة » ثأر .. ، على نحو ما يفعل اللاعبون في هذا الزمان ، حين ينهزمون في « إصابة » أو « هدف » فلا يستريحون حتى ينالوا « إصابة » مثلها ، فيساووا خصومهم ويمحوا عار الهزيمة .

كانت بعد ذلك بين الرسول (ﷺ) وبين أبي سفيان معارك ، أو ما تسميه كتب التاريخ معارك وغزوات ، ولكن أبا سفيان ، فيما نرى ، لم يكن يطلب القتال ، وإنما كان يستجيب لرغبات قريش فيخرج بها ، ولكنه لا يلبث حتى ينصح لها بالعودة !

... خرج الى ناحية الظهران ، أو عسفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال : (يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل !) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... ثم كان مسير الرسول (ﷺ) الى مكة . فظهر هنا دهاء أبي سفيان وحبه الشديد لقومه ، فقد عرف أنهم أعجز من أن يصمدوا للمسلمين ، لأن المعارك السابقة علمته أن أهل مكة ليسوا رجال حرب [1] ، وأنه لا خير في مكة إن بقيت جزيرة في بحر من الأعداء يغمرها من كل جانب ، فذهب الى محمد (ﷺ) يصالحه ويأمن لقومه منه . وكان محمد (ﷺ) قد تزوج أم حبيبة ، بنت أبي سفيان ، بعد عودتها من هجرتها الى الحبشة ، وهي مسلمة ،

(١) وقد روي في سيرة ابن هشام ان الرسول ﷺ ارتحل ، بعد معركة بدر (حتى اذ كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله لا لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فنحرناها ! فتبسم الرسول ﷺ ثم قال : أي ابن اخي ! أولئك الملأ) – اي الأشراف والرؤساء .

فكان هذا الزواج مما يطمع أبا سفيان بصداقة محمد (ﷺ) وعفوه . ويقال إن العباس ، عم الرسول ، وكان صاحب أبي سفيان ونديمه في الجاهلية ، هو الذي ذهب به الى الرسول ، فأسلم بين يديه ، وجعل له الرسول شرفاً وذكراً في قومه ، فقال :

« من دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن » !

فقال أبو سفيان : « يا رسول الله ، وما تسع داري ؟ »

فقال : « من دخل الكعبة ، فهو آمن » .

قال : وما تسع الكعبة ؟

قال : من دخل المسجد فهو آمن !

قال : وما يسع المسجد ؟

قال : من أغلق عليه بابه ، فهو آمن !

قال : هذه واسعة !

كذلك أمن أبو سفيان لأهل مكة . ثم رجع الى قومه ، يحذرهم من حرب الرسول ، لقوته وضعفهم ، فدخل الرسول مكة بغير قتال ، وأخذ أهلها يدخلون في الإسلام أفواجاً .

أسلم أبو سفيان وهو في الرابعة والستين من عمره ، وعاش مسلماً أربعاً وعشرين سنة ، فقد مات سنة ٣٢ للهجرة فلم يدرك خلافة ابنه معاوية ، وقد عده كثير من المؤرخين في المؤلفة قلوبهم ، لأن الرسول أعطاه من غنائم حنين ، بل يروى ان أبا سفيان جاء الرسول وقد جمعت غنائم حنين أمامه ، فقال :

— يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً !

فتبسم الرسول لقوله ، فقال :

— أعطني من هذا المال يا رسول الله .

فأعطاه أربعين أوقية ومئة من الابل . ثم قال : ابني يزيد أعطه ! فأعطاه مثلها . ثم قال : ابني معاوية أعطه ، فأعطاه مثلها ، فقال ابو سفيان :

— انك الكريم ، فداك أبي وأمي ، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت ، جزاك الله خيراً .

سواء أصحت هذه الرواية أم لم تصح ، فنحن لا نستغرب صدورها عن أبي سفيان ، فقد كان تاجراً ، محباً للمال ، وقد ذهبت بعد الإسلام زعامته وتجارته ، فان طمع بشيء من المال يحفظ به مكانته في قومه ، لم يكن ذلك كبيراً عليه ؛ وكان الرسول يوقره ، قيل إنه استأذن مرة على الرسول (فحجب قليلاً ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهمتين ـ قال أبو عبيدة : الصواب الجلهتين وهما جانبا الوادي ـ فقال (ﷺ) : يا أبا سفيان أنت ، كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء . يتألفه على الاسلام . قال ابو العباس : معناه اذا حجبت قنع كل محجوب ، يضرب لمن يفضل على أقرانه) [1] .

وبعد .. قد يكون ابو سفيان من المؤلفة قلوبهم ، ولكنه ، بعد أن أسلم ، حسن اسلامه ؛ وشارك في بعض غزوات الرسول ، وفقد احدى عينيه ، ثم فقد عينه الأخرى في موقعة اليرموك ، وتدلنا أقواله في واقعة اليرموك على صدق اسلامه ، وشجاعته ، وصبره ، ثم نحن نستدل منها على شيء آخر ، هو أن روحه المسالمة حين يحارب العرب ، تنقلب الى روح مقاتلة ، عنيفة ، حين يقف أمام الروم ، فقد كان يشعر أنه يقاتل عن العرب والاسلام ، لا عن الإسلام وحده ، ولذلك روى لنا (الطبري) أن ابا سفيان كان يسير فيقف على الكراديس ، فيقول : الله الله ، إنكم ذادة العرب وأركان الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك .

أما عاطفته القبلية أو عصبيته فما نظن الاسلام نزعها من نفسه ، روى لنا الجاحظ في كتابه « المحاسن والأضداد » أن عمر بن الخطاب سمع ، وهو خليفة ،

---

(١) الأمثال للميداني ، الجزء ٢ .

صوتاً ولغطاً بالباب ، فقال لبعض من عنده : اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فأدخله . فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فأدخلهم ، وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ، ويدخل حبشي وفارسي ورومي ! فقال سهيل : يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ، ولا تذموا أمير المؤمنين ، دعي القوم فأجابوا ودعيتم فأبيتم ، وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً !

فقال ابو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً .

الدكتور منير العجلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابو الطيّب اللغويّ الحلبي
(— ٣٥١هـ = ٩٦٢م)

هو عبد الواحد بن عليّ المعروف بأبي الطيب اللغوي العسكري الحلبي من عسكر مكرَم قدم حلب وأقام بها الى أن قتله الروم وأباه في دخول الدمستق حلب سنة ٣٥١ هـ ، وبذلك ضاع أكثر مؤلفاته الممتعة ، ولعل ما بقي منها الى اليوم كان منسوخاً وموزّعاً في الأقطار الاسلامية قبل استشهاده ، يؤيده قول أبي العلاء المعرّي في غفرانه [١] بعد أن ذكر كتبه : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب » .

دراسته الأولى

ليس لدينا مصادر تبين حقيقة دراسته الأولى والظاهر أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم في موطنه الأول عسكر مكرم وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب في صدر الاسلام ونسب الى مكرم بن معزاء بن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وما زال العمران يتزايد فيه حتى أصبح مدينة زاهرة بحضارتها وعلمائها ، قال ياقوت في معجمه [٢] : وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان أبو احمد الحسن بن عبد الله ... اللغوي العلامة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري . ثم رحل عن بلده عسكر مكرم الى حلب ، وهي يومئذ زاخرة بالعلم والأدب ،

---

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٥١٣ .
(٢) ١٧٦/٦ مطبعة السعادة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعامرة بالعلماء والأدباء من أعيان القرن الرابع الذين ضمتهم الحضرة السيفية الحمدانية كالفارابي وابن خالويه وابن نباتة الخطيب الفارقي وأبي الطيب المتنبي والصنوبري والنامي والناشي من الشعراء وأضراب هؤلاء ، وفي حلب هذه نضج علمه وظهر فضله على غيره .

أساتذته وتلاميذه

كان ابو الطيب أحد الحذّاق من العلماء المتقنين لعلمي اللغة والعربية ، أخذ عن أبي عمر الزاهد المطرّز الورّاق غلام ثعلب [١] ، وهو الذي قال فيه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي : « لم يتكلم في العربية أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد » .

وروى ابن القارح علي بن منصور المحدث ، وهو من تلاميذ أبي الطيب في رسالته [٢] المشهورة التي أجابه عليها المعرّي في غفرانه ، قال : قال (لي شيخي أبو الطيب) : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأخذ ابو الطيب أيضاً عن محمد بن يحيى الصولي الكاتب الذي أخذ عن ثعلب والمبرد والسجستاني وغيرهم من الأئمة ، وكان أبو الطيب من المحققين باللغة والأدب ، والحفاظ المعروفين بالرواية والدراية ، ومن اطلع على مؤلفاته شهد له بسعة العلم ، وصحة الطبع ، وفن التمحيص والاستحضار ، قال ابو علي الصقلي : كنت في مجلس ابن خالويه ، إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزانته وأخرج لها كتب اللغة ، وفرقها على من كان عنده من أصحابه يفتشونها ليبحث عنها ، فتركته وذهبت الى أبي الطيب

(١) انظر ترجمته في المجلد التاسع ص ٦٠١ .

(٢) رسالة ابن القارح سنة ١٣٣١ هـ ص ٢١١ .

اللغوي ، وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، وبيده قلم الحمرة ، فأجاب به ولم يغيّره قدرة على الجواب !

إن هذه الحادثة تدلنا على المنافسة التي كانت بين أبي الطيب وابن خالويه ، وعلى مبلغ إعجاب ابي علي الصقلي بأبي الطيب وتحزبه له ، كما تدل على أن علم أبي الطيب كان صدرياً لا قمطرياً : أي مما وعاه الصدر لا ما حواه القمطر ، فهو في ذلك شبيه بعبد الملك بن قريب الأصمعي ، وابن خالويه الحسين بن احمد شبيه بأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كان لا يجيب الا بعد الرجوع الى قمطره وخزانة كتبه ، وكان الرشيد يختبر فيهما ذلك كما فعل سيف الدولة في المسائل اللغوية ؛ على أن أبا العلاء المعري الذي ذكر هذه الحادثة في رسالة الغفران [١] ، كان يميل الى ابن خالويه ، فجعل الاعتماد على الأوراق والدفاتر من حزم الحافظ الذاكر ، إذ قال : «وأما ابو عبد الله بن خالويه وإحضاره للبحث النسخ فانه ما عجز ولا أفسخ – أي نسي – ولكن الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً» ، وبعد أن أشاد بذكر ابن خالويه عطف على ترجمة ابي الطيب اللغوي فأثنى عليه ، وأشار الى ما كان بين الشيخين من المنافسة والجفاء وحرمان المعاصرة بقوله : «وكان ابن خالويه يلقبه قرموطة الكبرتل يريد دحروجة الجعل لأنه كان قصيراً» !

ثم قال المعري : «وحدثني الثقة انه كان في مجلس ابي عبد الله بن خالويه ، وقد جاءه رسول سيف الدولة يأمره بالحضور ، ويقول له : قد جاء رجل لغوي يعني أبا الطيب هذا ، قال المحدث : فقمت من عنده ومضيت الى المتنبي [٢] ، فحكيت له الحكاية ، فقال : الساعة يسأل الرجل عن (شوط برّاح والعلّوص) [٣]

(١) طبعة دار المعارف ص ٥١٣ .

(٢) وكان ابو الطيب المتنبي صديقاً لأبي الطيب اللغوي جمت بينهما عداوة ابن خالويه .

(٣) شوط براح هو ابن آوى ، والعلوص بالضاد المعجمة ابن آوى بلغة حمير وبالصاد كما في بعض نسخ الغفران هو الذئب .

ونحو ذلك ، يعني أنه «بعنته» . أي يعنت أبا الطيب اللغوي بالسؤال عن الغريب ، وهذا الحديث يدل على بدء التعارف بين الشيخين ، وعلى ما كان بينهما من الإعنات والجفاء ، والمنتصر لأبي الطيب يقول ان ابن خالويه كان يستظهر ألفاظاً من الغريب الوحشيّ ليهاجم بها في المآزق خصومه ، وهم على غير أهبة ، وقد يكون خصومه أكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ؛ على أن ابا الطيب كان على رأي الحاتمي الذي سنذكره حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً .

وقال ابو العلاء : «وقد كان ابو الطيب يتعاطى شيئاً من النظم» قال ذلك بعد أن ذكر ما كان بينه وبين ابي العباس بن الكاتب البكتمري [1] من المودة والمؤانسة ، وأورد له شعراً في التشوق اليه أوله :

يا «عبدُ» انك عند القلب جنته حباً ، وانك عند الطرف ناظرُه

يريد «يا عبد الواحد» ، ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد ، ومما يدل على تعاطي أبي الطيب الشعر وعلى شدة غيرته على اللغة ، وعلى اتصال سنده بالخليل الفراهيديّ قوله : «أخبرني محمد بن يحيى (الصولي) قال : أنشدني عمر بن عبد الله العتكي ، قال : أنشدني ابو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحرمازي للخليل ثلاثة أبيات في قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها» . قال أبو الطيب : «أراد بهذا أن يبين ان تكرار القوافي ليس بضار ، اذا لم يكن بمعنى واحد ، وليس بإيطاء ، والأبيات هي :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى اذ رحل الجيران عند الغروب [2]
أتبعتهم طرفي ، وقد أزمعوا ودمع عينيّ كفيض الغروب [3]
كانوا ، وفيهم طفلة حرّة تفترّ عن مثل أقاحي الغروب [4]

(١) وفي اليتيمة : ابو الفتح البكتمري ويعرف بابن الكاتب الشامي من شعراء آل حمدان، ونقل له شعرا يحاكي هذا الشعر برقته وروحه .
(٢) غروب الشمس .
(٣) جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة .
(٤) جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة .

وقال ابوالطيب : فقصد هذا القصد بعض الشعراء فيما أنشده ثعلب ولم يذكر قائلاً [١] ، ومطلع قصيدته الخالية :

أتعرف أطلالاً شجونك بالخالِ وعيش زمان كان في العصر الخالي

ثم قال ابو الطيب : ولما ظننا ان من سمع هذه الأبيات ربما خال صاحبها قد زاد على الخليل بن احمد ، وانه لما تعرض لشيء تقصاه رأينا أن نبين أنه بخلاف هذه الصورة ، وانه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل أكثر مما أورد ، وقد بقي عليه من هذه القوافي مانحن ناظمون أبياتاً ومعتذرون من تقصيرنا فيه ، اذ المراد ايراد القوافي دون التعمد لنقد الشعر وعدد الأبيات (١٤) ومطلعها :

ألمْ بربع الدار بانَ أنيسه على رغم أنف اللهو قفراً بذي الخالِ

ومقطعها :

«وان زعموا أني تخليت بعدها فما أنا عنها بالخليّ ولا الخالي [٢] »

وذكر محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الملباجة أنه كان يوزن في مجلس سيف الدولة بابي علي الفارسي فارس العربية ، وبأبي عبد الله بن خالويه ، وكان له السهم الفائز في علوم العربية ، وبأبي الطيب اللغوي ، وكان حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً ! »

قال أبو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر كنت أعاتي اللغة عن ثعلب .

مصنفات أبي الطيب

قال ابو العلاء المعري في ترجمة ابي الطيب في الغفران ، والظن الغالب ان جميع من ترجم له كالمجد الفيروزبادي في (البلغة في طبقات أئمة اللغة) والجلال

---

(١) انظر اعلام النبلاء ٣٦/٤ . فقد اورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التحريف .

(٢) وأورد ابن شاكر الدمشقي في عيون التواريخ ، وهو من مخطوطات الاحمدية بحلب ، هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية اخرى لعبد الله بن محمد العروضي في ٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصي من المتأخرين خالية تقع في ٢٥ بيتاً مضمومة الرويّ .

السيوطي في (بغية الوعاة) قد اعتمدوا على ابي العلاء الذي يقول[١] : « له كتاب في (الاتباع) صغير ، على حروف المعجم ، في أيدي البغداديين ، وله كتاب يعرف بكتاب (الابدال) قد نحا به نحو كتاب يعقوب في (القلب) ، وكتاب يعرف (بشجر الدر) سلك به مسالك أبي عمر (الزاهد) في المداخل ، وكتاب في (الفرق) قد أكثر فيه وأسهب ... » .

وقد لا يخلو من فائدة شرح هذه الكتب التي سماها ابو العلاء تباعاً ، وقد أغفل ذكر بعض مصنفاته منها كتاب (مراتب النحويين) أو اللغويين ، وهو جزء لطيف في طبقات النحاة يوجد في بعض مكاتب الأستانة ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون[٢] وسماه (مراتب النحاة) ، ومنه بدار الكتب المصرية نسخة في الخزانة التيمورية[٣] ، كما أغفل أبو العلاء كتابه (المثنى) ولم يذكره صاحب البغية أيضاً ، وهو مخطوط عندي ، ولله الحمد ، في خمس وعشرين صفحة كبيرة ، وسأنشره محققاً بعد نشري لكتابه (الابدال) الذي حققته وقرر المجمع العلمي العربي نشره ، ولعله أجل كتب أبي الطيب اللغوي ، وأوسع ما ألف في الابدال بعد يعقوب بن السكيت الذي نشر إبداله هفنر ببيروت ونفدت نسخه من بلادنا العربية ، وكأنما طبع للمستشرقين .

وأما كتابه (الاتباع) فهو في المزاوجة نحو حسن بسن ، قال السيوطي في مزهره[٤] : وقد ألف ابن فارس تأليفاً مستقلاً في هذا النوع ، وقد رأيته مرتباً على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته : (الالماع في الاتباع) ؛ أقول : واتباع ابي الطيب أيضاً مرتب على حروف المعجم ، وكان على ما ذكره المعري

(١) ص ٥١٢ .
(٢) في الطبعة الجديدة ١٦٠/١ .
(٣) رقم ١٤٢٥ تاريخ .
(٤) ٤٤٩/٩ - ٤٦٠ .

في أيدي البغداديين ، وكانوا مولعين بحفظ لغتهم العربية بألواحهم ، فقد حفظوا أتباع ابي الطيب كما حفظوا فصيح ثعلب واصلاح المنطق من قبل .

ولأبي الطيب كتاب (شجر الدر) وهو من النوع المعروف بالمشجَّر ، وقد ذكره المعري انه « سلك به مسالك أبي عمر في « المداخل » ، وأبو عمر هذا المعروف بغلام ثعلب ، كان من حفاظ اللغة وأئمتها ، وكتابه (المداخَل) قد نشره عالم الهند الأستاذ الراجكوتي في مجلة مجمعنا العلمي [١] باسم (المداخلات) ، قال السيوطي في مزهره : « ألف في هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتباً سموها : (شجر الدر) منها شجر الدر لأبي الطيب اللغوي » . قال في كتابه المذكور : « هذا كتاب مداخلة الكلام للمعاني المختلفة سميناه كتاب (شجر الدر) : لأنا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعاً ، فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها ٥٠٠ كلمة أصلها كلمة واحدة ، وإنما سمينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، فهذا الوجه الذي ذهبنا اليه » .

أما كتاب (الفرق) الذي ذكر المعري ان أبا الطيب قد أكثر فيه وأسهب ، فقد ذكره السيوطي في المزهر [٢] باسم الفروق ونقل منه أمثلة مفيدة ننقل منها المثال التالي :

« يده من اللحم غَمِرة وندلة ، ومن اللبن وضِرة ، ومن السمك والحديد أيضاً سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة ، ومن العسل لثقة ، ومن الجبن نمسة ، ومن الودك ودكة ، ومن النفس طرسه ، ومن الدهن والسمن نسمة ، ومن الخل خمطة ، ومن الماء لثقة ، ومن الخضاب ردعة ، ومن الطين ردغة ،

---

(١) ط دار الاحياء ١/٤٤٥ .
(٢) المزهر ١/٤٤٧ .

ومن العجين لوثة ، ومن الدقيق نثرة ، ومن الرطب والتمر حمتة ، ومن الزيت وضئة ، ومن السويق والبزر رغفة ، ومن النجاسة نجسة ، ومن الأشنان حرضة ، ومن البقل زهرة ، ومن القار حلكة ، ومن الفرصاد قنئة ، ومن الرطاب مصعة ، ومن البطيخ نضخة ، ومن الذهب والفضة قتمة ، ومن الكامخ شهرة ، ومن الكافور سطعة ، ومن الدم شحطة ، ومن التراب تربة ، ومن الرماد رمدة ، ومن الصحناء صحنة ، ومن الخمط مسسة ، ومن الخبز خبزة ، ومن المسك ذفرة ، ومن غيره من الطيب عطرة ، ومن الشراب خمرة ، ومن الروائح الطيبة أرجة » .

ونقل أكثر هذه الفروق أبو القاسم الحسين بن علي من خط أبي العباس احمد ابن يحيى ثعلب ، وأخذ بعضه عن أبي اسامة جنادة اللغوي ، وهنالك فروق أخرى مما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات رواها ابن خالويه والفرّاء والزجاجيّ وغيره ، فهل في لغات أمم العالم لغة أدق وأوسع من هذه اللغة العربية ، ومن يقوى على مثل هذا التفريق والتدقيق ، ونحن في عصر الناس هذا أحوج ما نكون اليها في تسمية المسميات العلمية الحديثة !

ومما أغفله ابو العلاء المعري من كتب ابي الطيب كتاب (الأضداد) وقد ذكره الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، ولم يذكر صاحب المزهر أبا الطيب اللغوي بين من ألفوا في الأضداد وهم قطرب والتوزي وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو البركات بن الأنباري وابن الدهان والصغاني ، ولا حاجة بنا لنقل مثال من الأضداد مما أورده السيوطي فالمقصود بها معروف ، ولا نحتاج في عصرنا هذا العلمي الى الأضداد ، وقد أنكرها جماعة منهم ابن درستويه وله في ذلك تأليف أشار المزهر اليه ، وقد ذكر بروكلن أيضاً كتاب (الأضداد) لأبي الطيب في الجزء الأول من ذيول تاريخه للأدب العربي (G. A. L) .

ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب (المثنّى) ، وهو عندي ولله الحمد لطيف يشتمل على نوعين الاتباع والتغليب : أما الاتباع فقد ذكرناه ، وأما التغليب

فقد تكلم أبو الطيب عنه في المثنى في تسع عشر صفحة كبيرة وسننشره إن أعان الله ، وما أدري أكتاب (الاتباع) مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثنى ، وبحث في (المثنى) كما في المزهر يعقوب بن السكيت ، وللمحبي من المتأخرين كتاب (جنى الجنتين) ، وبحث عنه من المعاصرين أحمد تيمور [١] وسليم عنحوري [٢] في مجلة مجمعنا العلمي .

وقد يتبادر الى الذهن ان اسم المثنى ليس من تسمية أبي الطيب ، وفي مقدمة المثنى ما يثبت ان الاسم له أقوله : «ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ما ورد من كلام العرب (مثنى) في الاستعمال تثنية لازمة» وجمعها في عشرة أصناف ، تسعة منها من التغليب ، والعاشر في الأفعال المثناة وهو صنفان : أحدهما الفعل المبني على صيغة التثنية ، والمراد به تكرير الفعل ، والثاني الفعل يجيء لفظه لاثنين ومعناه لواحد .

أما كتاب (الابدال) ، وهو أجل كتب أبي الطيب ، الذي قرر المجمع العلمي العربي نشره ، فموعدنا في وصفه العدد المقبل ان شاء الله .

التنوخي

---

(١) مجلة المجمع العلمي (١٤٧/٤/٤) .
(٢) مجلة المجمع (٢٤/٤) .

عيلان — اشتق من الفقر . واشتق من التبختر والعيلة التبختر . يقال للرجل اذا مر يتبختر : انه لعيّال [١] .

غيلان — يصلح أن يكون اشتق من الغيل والغيل الماء يجري على وجه الأرض . قال ساعدة :

كذوائب الحفأ الرطيب غطا به   غيل ومدّ بجانبيه الطحلبُ

الحفأ البَرديّ . والرطيب الناعم الريان . قال : والغطو الارتفاع . يقال : غطا الماء يغطو اذا ارتفع وعلا . والطحلب الخضرة التي تكون في الماء . والعرمض الخضرة الخالصة على الماء . ويصلح أن يكون الغيلان من الغيل وهو شجر ملتف ليس بذي شوك كالقصب والبردي والحلفاء . ويكون من الغيل . والغيل لبن المرأة الحامل يشربه ولدها . وأظنه اذا كان زوجها يغشاها وان لم تكن حاملاً . والغيل الذراع اذا امتلأت من اللحم وحسنت . قيل :

---

(١) القاموس : عال يعيل عيلاً وعيلة وعيولاً ومعيلاً افتقر فهو عائل جمعه عالة وعُيَّل وعيلى كسكرى والاسم العيلة . والُمعيلُ الأسد والنمر والذئب لأنه يعيل صيداً أي يلتمس ؛ وعالني الشيء عِيلاً ومَعيلاً أعوزني وعال في مشيه تمايَل واختال وتبختر . والعيلان الذكر من الضباع . وبلا لام أبو قيس أو الصواب قيس عيلان مضافاً وليس له سميّ وهو في الاصل اسم فرسه .

هذا ولقيس عيلان بطون متفرعة منه ذكرها النسابون ومنهم ابن قتيبة في معارفه .

ساعد غيل [١] :

الأقيشر — تصغير أقشر وهو الذي تشتد حمرته حتى يتقشر [٢] .

(١) ومن معاني الغيل الغلام السمين العظيم . وغيلان اسم ذي الرمة . ورجل كان بينه وبين قوم ذحول فحلف ان لا يسالمهم حتى يدخل عينيه التراب أي يموت فرهقوه يوماً وهو على غرة فأيقن بالشر فجعل يذر التراب على عينيه . ويقول : تحلّل ياغيل أي ياغيلان يريهم أنه يصالحهم وانه قد تحلل عن يمينه فلم يقبلوا وقتلوه . وأم غيلان شجر السَمُر (عن القاموس) وفي المصباح . . وفي حديث . ما سقي بالغيل ففيه العشر وأم غيلان بالفتح ضرب من العضاه وبها سمي ومنه غيلان بن سلمة الثقفي وكان من حكام قيس في الجاهلية وأسلم وتحته عشر نسوة . وقيل : ثمان . فخيره النبي (ﷺ) فاختار أربعة منهن .

(٢) أقيشر تصغير اقشر وهو ما انقشر لحاؤه . ومن ينقشر أنفه من الحر . والشديد الحمرة . وبه مصغراً لقب المغيرة الشاعر . وجد أسامة بن عمير الصحابي (عن القاموس) وفي الأساس في مجاز (قشر) خرج في قشرتين نظيفتين في ثوبين . وعليه قشر حسن . ورجل ذو رداء وقشر . وجارية بضة القشر والقشرة وهو البشرة ورجل مقشّر عريان . وجاء بالجواب المقشّر . وهو أشقر أقشر شديد الحمرة كأنما قشر جلده . وأنت ترى ان ما جاء في الأصل هو مجاز . وحقيقته على ما في الأساس يقال : لوز مقشور ومقشر . وهذه قشارته . وثوب رقيق كقشر الحية كسلخها وحية قشراء . وشجرة قشراء . وفلان يتفكه بالمقشر أي بالفستق المقشور اسم غالب عليه .

أمّا الأقيشر ففي الشعر والشعراء لابن قتيبة هو المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة . وكان يغضب اذا قيل له أقيشر فمر يوماً بقوم من بني عبس . فقال رجل منهم : يا أقيشر فسكت ساعة ثم قال :

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليل سراً ورب الناس يعلم ما تناجي —

حميس — اشتق من الحمس . والحمس شدة الغضب والحرب يقال : رجل أحمس اذا اشتد غضبه واشتد قتاله وقال رجل من بني سعد :

ولا أمشي الضراء اذا ادَّراني ومثلي لزٌّ بالحمس الربيس

ويصلح أن يكون حميس تصغير أحمس . والأحمس يكون على معنيين ، أحدهما الغليظ الشديد . قال الراجز (١) :

كم قد قطعنا من قفافٍ حُمس

والآخر أحمس . واحد الحمس . والحمس قريش ومن ولدت قريش وحلفاؤها . ويقال للرجل منهم : أحمس وقال عمرو بن معدي كرب :

أحباس (٢) لو كانت شياراً جيادنا تأليت ما ناصبت بعدي الاحامسا

يعني بالاحامس بني عامر لأن قريشاً ولدتهم . قال رجل من بني قشير

— فسمي الرجل ابن مطفئة السراج . وولده ينسبون الى اليوم هذا وله أبيات في هجاء مطر بن ناجية اليربوعي حين غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري ومطر على المنبر يخطب فبلغ هجاؤه جريراً فأتى بني أسد فقال : انه والله لولا الرحم ما اجترأ عليَّ خليعكم فاستكفوه وأخـذوا الاُقيشر فضربوه ودس اليه جرير رجلاً وقال له : اذهب فقل : إني جئت لاُهجو قومك وتهجو قومي فصار اليه . فقال له : من أنت ؟ قال : من بني تميم فقال :

فلا أسداً نسبُّ ولا تميما وكيف يحل سبُّ الاُكرمينا

ولكن التقارض حلَّ بيني وبينك يابن مضرطة العجينا (!)

فسمي الرجل ابن مضرطة العجين .

(١) هو العجاجُ (المجمع) .

(٢) صواب الرواية : أعبَّاس . ومعنى (شياراً) حساناً ؛ وقوله (تأليت) صوابه (بتثليث) وهو اسم موضع (المجمع).

اذا دفعت كعب صدور مطينا دفعنا وكنا نحن خير الاحامس [1]

(١) الضرأء الاستخفاء · والشجر الملتف في الوادي · ومعنى ادراني ختلني · والحمس الشجاع كالأحمس والحميس · ولز ألزم · وقول الراجز : كم قد قطعنا الخ جاء في تهذيب الألفاظ هكذا :

وكم قطعنا من قفاف حمس غبر الرعان ورمال دهس
حتى احتضرنا بعد سير حدس أمام رغس في نصاب رغس

القفاف جمع قف وهو غلظ من الأرض · والحمس الشداد الواحد أحمس · والرعان أنوف الجبال والواحد رعن · ويقال حدس في الأرض اذا ذهب · وقيل الحدس أن يرمي بنفسه في السير بغير هداية · والنصاب الأصل · ورغس مبارك ·

الأساس : رجل أحمس من رجال حمس · وحمس بين الحماسة · وقد حمس · وهم أهل السماحة والحماسة · وهو رجل من الحمس وهم قريش لتحمسهم في دينهم وهو تصلبهم ·

المعارف : لابن قتيبة ·· (الحمس) هم قريش ومن دان بدينهم من كنانة · وانما التحمس التشدد في الدين وكانوا لا يستظلون أيام منى · ولا يسلؤون السمن ولا يدخلون البيوت من أبوابها · ويقفون بالمشعر · ولا يأتون عرفة ولا يلتقطون الجلة اه · وقال الزبير بن عبد المطلب وكان من رجالات قريش في الجاهلية :

ولولا الحمس لم تلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

قال ابن قتيبة : والحمس كنانة وقريش · ومعنى شيار في بيت عمرو بن معدي كرب سمان حسان ·

مزينة – تصغير مزنة والمزنة السحابة [1] .

باسل – اشتق من بسالة الشدة . وبسالة الكراهة ، يقال للشجاع الكريه المنظر : هو باسل بيّن البسالة ويقال لكريه المنظر : إنه لباسل .. وقال أبوذؤيب :

وكنت ذنوب البئر لما تبسلت وسربلت أكفاني ووسدت ساعدي

ويكون باسل من الحرام . يقال : ذلك أمر بَسل أي حرام قال الأعشى :

فجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها

قال المتلمس :

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها بسل عليك الا تلك الدهاريس

قال أبو عثمان : أنشدني الأصمعي قال : أنشدني ابوعمرو بن العلاء (الى نخلة القصوى) . ويصلح أن يكون باسل من الاستبسال . يقال : استبسل للموت اذا أعطى بيده . وأنشدنا الاصمعي . قال : أنشدنا رجل من أهل اليمن (الدراهيس) [2] .

---

(١) المزن بالضم السحاب . أو أبيضه . أو ذو الماء . القطعة مزنة . والمازن كصاحب بيض النمل . وأبو قبيلة . وماء . والمزنة بالضم المطرة . وابن مزنة بالضم الهلال . وكجهينة قبيلة . وهو مُزَني (عن القاموس) .

(٢) الأضداد في اللغة لأبي بكر الأنباري : وبَسل من الأضداد .. يقال : بسل للحلال وبسل للحرام قال زهير :

بلادٌ بها نادمتهم وعرفتهم فإن أوحشت منهم فإنهم بسل

أراد (حرام) .. وقال ضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعدوهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي

أراد (حرام عليك) وأنشدنا أبو العباس عن ابن الاعرابي :

أيقبَلُ ما قلتم وتُلقى زيادتي دمي إن أحلّت هذه لكم بسل

أي دمي حلال مباح . ويكون بسل بمعنى آمين قال الشاعر :

لا خاب من نفعك من رجاكا بسْلاً وعادى الله من عاداكا

المجيم — تصغير الهجم · والهجم وقوع الشيء · يقال : هجم القوم بيتهم اذا هدموه .. قال علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه   بيت أطافت به خرقاء مهجوم

أخبرنا ابو عثمان .. قال : حدثنا الأصمعي عن ابي عمرو بن العلاء .. قال: قتل بسطام · وبنو شيبان بسفوان · فما بقي بيت إلا هجم · ويقال للرجل إذا حلب كل شيء في الضرع : قد هجم ما في ضرعها (١) .

— أراد آمين · وأورد بيت الأعشى كما في الأصل وان بسلاً فيه بمعنى حرام · الأساس : فيه بسالة · وما أبسله · ولقد بسل وتبسل اذا تشجع · وأسد باسل وله وجه باسر باسل شديد العبوس · وأبسله للهلكة أسلمه · وأبسل بعمله أفصح · واستبسل للموت اذا استسلم · المصباح : بسل بسالة مثل ضخم ضخامة بمعنى شجع فهو بسيل وباسل · وأبسلته بالألف رهنته وفي التنزيل (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) · وورد في الشعر والشعراء (تنسلت) بدل (تبسلت) وهو غلط من الطابع · وبيت أبي ذؤيب الهذلي من أبيات يذكر بها حفرته كما في الشعر والشعراء أولها :

مطأطأة لم ينبطوها وإنها   يرضى بها فرّاطها أم واحد

قضوا ما قضوا من رمّها ثم أقبلوا   الي بطاء المشي غبر السواعد

فكنت ذنوب البئر (البيت) وبعده :

أعاذل لا إهلاك مالي حزني   ولا وارثي ان ثمّر المال حامدي

تبسلت كره منظرها · ذنوب الدلو · في بيت المتلمس روى الصاحبي (النخلة) بدل (النحلة) .

والدهاريس والدهاميس كلاهما بمعنى الدواهي والشدائد .

(١) في أمالي الشريف المرتضى (زهق) بدل (صعل) وهذا البيت من قصيدة طويلة من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم   أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

غسان — اشتق من شيئين . فقال : كان ذلك في غيسان شبابه واسترخائه . ويقال للخصلة من الشعر غسنة من المرأة والفرس . والجماع الغُسُن . أخبرنا ابو عثمان قال : أخبرنا يزيد بن مرة الدارع . قال : سمعت أبا الخطاب الاخفش يقول : رجل غسن اذا كان ضعيفاً (١) .

— الصمل الخفيف الرأس والعنق . والمهجوم الساقط المصروع . وفي الأساس : والريح تهجم التراب على الدار تلقيه عليها قال ذو الرمة :

أودى بها كلُّ عرّاص أثّ بها وجافل من عجاج الصيف مهجومُ

وفيه .. صمل ظليم . ورجل صمل وأصمل صغير الرأس ونعامة وامرأة صملة وصملاء . وقد صمل صملاً . وتقول : في رأسه صَمَل ، وفي رأيه عَصَل أي اعوجاج . أما عرّاص ككتان فالسحاب ذو الرعد والبرق الكثير اللمعان . والبرق المضطرب أم وأثّ بها دام .

وفي كامل المبرد .. وقد أورد بيت علقمة . والمهجوم المهدوم . وفي الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل الا هُجم أي هدم .

أما خبر قتل بسطام بن قيس سيّد شيبان فهو مبسوط في كامل ابن الأثير في يوم الشقيقة من أيامهم وهو يوم بين بني شيبان وضبة بن أد . وصفوان وضع في البصرة وبنو هجيم كزبير بطن .

(١) القاموس : الغسن المضغ . وبالضم الضعيف والغُسنة والغسناة بضمهما خصلة الشعر (ج) كصُرد وككتاب جلد يلبسه الصبي . وكغراب أقصى القلب ، وكشدّاد وكيسان حِدّة الشباب : وما أنت من غسّانه وغيسانه من رجاله ، وكشدّاد ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه . منهم بنو جَفنة رهط الملوك . أو غسان اسم القبيلة والغساني الجميل جداً . والاغسان أخلاق الناس . واخلاق الثياب . والغيسانة الناعمة .

دعمي ودعامة — اشتق من الدعم . والدعم شيء يدعم به البيت لئلا يسقط والحائط ومنه دعامة [١] .

جديلة — أصل جديلة حبل من أدم . أو شعر يفتل وانما أخذ من الجدل والجدل شدة الطي والفتل وحسنه وجديلة بنت مر بن أد أم فهم وعدوان ابني عمرو بن قيس وإليها ينسب أبو عبد الله الجدلي الذي يحدث عنه [٢] .

---

(١) الأساس : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم ودعمة ودعم . وبيت مدعوم ومعمود . فالمدعوم الذي يميل فيريد أن يقع فتسند اليه ما يستمسك به . والمعمود الذي يتحامل ثقله كالسقف فتمسكه بالأساطين ، وادّعم الحائط على الدعامة اتكأ عليها . القاموس : دعمه كمنعه مال فأقامه . والدِعمة والدِعامة والدِعام بكسرهن عماد البيت . والخشب المنصوب للتعريش جمعه دِعم ودعائم . وككتابة السيِّد ، وخشبتا البكرة . وادّعم كافتعل اتكأ عليها . والدُعمي بالضم النجّار الى أن قال ودُعمي بن جديلة أبو قبيلة . والدَعامة الشرط . وبالكسر ابن غَزية . وابنه قتادة بن دعامة صحابيان ، و كغراب بطن عظيم من العرب . وككتاب اسم .

(٢) الأساس : جدل الحبل فتله . وزمام مجدول وهو الجديل . تقول : كأن في الجديل إحدى بنات جديل . وطعنه فجدله ألقاه على الجدالة وهي الأرض قال :

قد أركب الآلة بعد الآله وأترك العاجز بالجداله

وتقول : ان وقفن فمجادل ، وان مررن فأجادل . وهي القصور . قال الأعشى :

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر

والرواية المشهورة (يزل عنه قدم الطائر) . القاموس : بعد أن ذكر معاني كثيرة لهذا الحرف قال : وجديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير أم حي . والنسبة جدلي وأنت ترى اختلافاً بين ما جاء في الأصل والقاموس في نسب جديلة .

لؤي — تصغير لأي . ولأي اسم من الأسماء يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء . يصلح أن يكون من اللأي واللأي الثور (١) .

والرائش — يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء. يصلح أن يكون من راش السهم يريشه . ويصلح أن يكون من قول العرب : فلان يريش ويبري . ويقال : بعير راش اذا كان ضعيف الظهر مهزوله . وكان الأصل كما قال رائش تخفف ههنا كما قال هار وهائر .. وقال ساعدة بن جوبة (٢) :

من كل أظمى عاتر لا شانه قصر ولا راشي الكعوب معلب

يقول : لا ضعيف الكعوب . ولا معلب وهو الذي انكسر فشد بعلباء (٣) .

---

(١) لم يذكر غير واحد من الثلاثة التي يصلح أن يكون لؤي مشتقاً منها ولعل قلم الناسخ طوى الآخرين سهواً . وانك لترى الثلاثة مبيّنة بما ستراه قريباً . وفي المقصور والممدود لابن ولاد النحوي : واللأى الثور . وزعم ابو عمرو أنها البقرة مقصور يكتب بالياء . ولو كان هذا من ذوات الواو لكتب بالياء على الاختيار لمكان الهمزة التي قبل آخره كأنهم كرهوا الجمع بين ألفين . ويقال : بكم تبيع لأاك بوزن لعاك ؟ وقال الطرماح :

كظهر اللأى لو تبتغي رية بها نهاراً لعيت في بطون الشواجن

ويروى لعنت من العناء ، والشواجن الأودية . ورية ما تورى به النار . القاموس : اللأي كالسعي الابطاء والاحتباس والشدة كاللأى كالما . واللأواء وألأى وقع فيها . والتأى أفلس وأبطأ . واللأي كاللعي الثور الوحشي أو البقرة . ولأي اسم : تصغيره لؤي . ومنه لؤي بن غالب بن فهر .

(٢) الصواب جؤية بالهمز وهو هذلي مخضرم (المجمع) .

(٣) روي البيت في مبادىء اللغة هكذا (*) :

من كل أظمى عاتر لا شانه قصر ولا راشي الكعوب معلب —

(*) ويروى في الخزانة البغدادية (٣/٧٣) :

[من كل أسحم ذابل لا ضره قصر ...]

وهو من قصيدة طويلة عدتها ٥٢ بيتاً (مجمع) .

جُلاس — (بياض) ولعل المتروك (يصلح ان يكون من) جَلَس يجلس اذا قعد • ومن جلس يجلَس اذا قصد نجداً فان أهل الحجاز يسمون نجداً الجَلْس • يقولون : قد جلسنا اذا خرجوا الى نجد •• قال رجل من هذيل :

اذا ماجلسنا لا تزال ترومنا سُليمٌ لدى أبياتنا وهوازنُ

يريد إذا أتينا نجداً •• قال عمر بن ربيعة :

اذا أم سرياح غدت في ظعائن جوالس نجداًفاضت العين تدمع (١)

— الأظمى المكتنز • والعاتر يقولون : سيف باتر • ورمح عاتر اذا اضطرب وتراجع في اهتزازه • قال العجاج :

وكل خطيٍّ اذا هز عتر

ويقال : سيف معلب ومعلوب مشدود بالعلباء • وفي اللسان •• رمح معلب اذا جُلِّد ولُوِيّ بعصب العلباء •

المخصص : علبت السيف أعلبه علباً • وعلبته شددت مقبضه بعلباء البعير وهو عصبة في عنقه • سمي به الرائش الحميري ملك كان غزا قوماً فغنم غنائم كثيرة وراش أهل بيته • قال الجوهري : والحرث الرائش من ملوك اليمن •

(١) المخصص : ابن السكيت •• جلس يجلس جلساً أتى جلساً وهي نجد • وأنشد البيت • وفيه بمادة جلوس وقد جالسته مجالسة وجلاساً • وكأن اسم جلاس أخذ من هنا •

التهذيب : وجلس فهو جالس اذا أتى جَلساً وهي نجد • قال مالك بن خالد الخناعي وأورد البيت كما في الأصل وأما البيت (اذا أم سرياح) المنسوب في الأصل الى عمر بن ربيعة فيقول ابن السكيت في تهذيب الألفاظ: قال الأصمعي: وأنشدنا أمير كان على مكة (والشعر لدرّاج الضبابي) :

ولما دخلت السجن أيقنت أنه هو البين لا بينُ النوى ثم يجمع

اذا أمُّ سرياح غدت في ظعائن جوالسَ نجداً فاضت العين تدمع

فما السوط أبكاني ولا السجن شفني ولكنني من خشية البين أجزَع —

حرقوص — يسمى بدابة صغيرة تكون بالبادية شديدة اللسعة [١] .
قرفة — قشر الشجرة . يقال : صبغ ثوبه بقرف الشجر وقرف السدر .
والقرفة التهمة . يقال للرجل : من قرفتك أي من تتهم [٢] .
بشامة — شجرة طيبة الرائحة يستاك بها [٣] .

— والسرياح كجربال الطويل والجواد . وأم سرياح امرأة درّاج بن زرعة الضبابي أمير مكة . وفي الفصول والغايات للمعري .. ودراج بن زرعة الكلابي كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل وهو القائل :

(اذا أم سرياح غدت في ظعائن) البيت . وبعده :

فأبلغ بني عمرو اذا ما لقيتهم بآية كراتي اذا الخيل تقدع
فما القيد أبكاني ولا السجن شفني ولا انني من رهبة الموت أجزع
ولكن أقواماً ورائي أخافهم اذامت أن يعطوا الذي كنت أمنع

القاموس : والجلاس كغراب ابن عمرو . وابن سويد صحابيان .

(١) القاموس : الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزُّنبور . أو كالقراد تلصق بالناس . أو أصغر من الجعل . وابن مازن تميمي . وابن زهير وكان صحابياً فصار خارجياً .

(٢) القرف بالكسر القشر أو قشر المُقل وقشر الرمان ومن الخبز ما يتقشر منه ويبقى في التنور . وبهاء التُهَمة والهجنة والكسب . والقشرة وقشور الرمان . وضرب من الدارصيني . وهم قرفتي أي عندهم طلبتي . وسلهم عن ناقتك فانهم قرفة أي تجد خبرها عندهم . ويقال : أمنع وأعز من أم قرفة لانه كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم محرم لها زوجة مالك بن حذيفة ابن بدر . وقرفة بن بُهَيس أو بيهس . أو مالك تابعي . وحبيب بن قرفة العوذي شاعر (عن القاموس) .

(٣) الأساس : بشم الفصيل من اللبن والرجل من الطعام اذا أتخم . وفي كلام الحسن .. وأنت تتجشأ من الشبع بشماً . واستاكت بفرع بشامة .. وتقول : ما أهل الشام إلا كشجر البشام دهنه من أطيب الأفواه . وعوده مطية الأفواه . القاموس : وبهاء ابن الغدير . وابن حزن شاعران .

معد – موضع رجل الراكب من الفرس .. قال الشاعر :

نابي المَعَدّين وأى نظّار محجل لاح له خمار[(١)]

عنزة – سميت بذئبة دقيقة الخصر لطيفة والعنزة الحربة أيضاً[(٢)] .

(١) القاموس : والمعد كمرد الجنب والبطن واللحم تحت الكتف . وموضع عقب الفرس . وعرق في منسج الفرس (الاسفل من حاركه) . والمعدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . ومعد حي ويؤنث وهو مَعَدّي . اللسان : المَعَدّان الجنبان من الانسان وغيره .. وقال اللحياني : المعد الجنب فأفرده . والمعدان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . وقيل : المعدان من الفرس ما بين أسفل الكتف الى منقطع الأضلاع وهما اللحم الغليظ المجتمع خلف كتفه ويستحب نتوؤهما . والمعد موضع عقب الفارس الى أن قال : ومعد حي سمي بأحد هذه الأشياء وغلب عليه التذكير . مبادئ اللغة : والمعدان موضع السرج من جنبيه .. قال ابن أحمر :

فإما زال سرج عن معد وأجدر بالحوادث أن تكونا

فلا تصلي بمطروق اذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا

أما البيت المستشهد به في الأصل (نابي المعدين) نابي من نبا الشيء عنه تجافى وتباعد . المعدين تقدم معناهما . الوأى الفرس السريع . وقيل : الشديد أخذ من قولهم : قدر وئية . وأنشد ابن بري لشاعر :

اذا جاءهم مستنفرٌ كان نصره دعاء ألا طيروا بكل وأىٍّ نهد

ملخص عن اللسان : ونظّار أي فرس طامح الطرف لشهامته وحدة فؤاده . لاح له خمار أي غبرة (عن الأساس) .

(٢) العنز الماعزة وهي الأنثى من المعز . والعنزة بفتحتين أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيها زج كزج الرمح . قال الجوهري : والعنز الأنثى من الظباء والأوعال وهي الماعزة . وفي مبادئ اللغة .. والعنز بالبادية من السباع –

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

عكابة — اشتق من الغُبار اذا أثارته الخيل والابل يقال : (رأيت القوم ثار لهم عكوب)[١] ٠

حذيفة — اشتق من الحذفة ٠ والحذفة ضرب من الضأن[٢] ٠

حباب ٠٠٠ — وهي ضرب منها ٠٠ قال الشاعر :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه حباب نقا يتلوه مرتجل (!)[٣]

— دقيق الخطم ٠ وفي لسان العرب عن الأزهري : العنزة عند العرب من جنس الذئاب وهي معروفة ٠ ومن مسمياتها عنزة بن أسد بن ربيعة ، أو ابن عوف أبو حي ٠

(١) العكوب بالفتح الغبار ٠ وعكابة كدُخانة ابن صعب أبو حي من بكر بن وائل ٠ أما بكر فمن ولده علي بن بكر ومن ولد علي صعب وولد لصعب لجيم بن صعب وعكابة بن صعب ٠ وولد عكابة قيساً وثعلبة ٠

(٢) حذفه يحذفه أسقطه ٠ ومن شعره أخذه ٠ وبالعصا رماه ٠ وفي مشيته حرك جنبه وعجزه ٠ أو تدانى خطوه ٠ وفلاناً بجائزة وصله بها ٠ والسلام خففه ولم يطل القول به ، وككناسة ما حذفه من الأديم وغيره ٠ كثمامة ابو بطن من قضاعة ٠ وكجهينة بن أسد ٠ وابن أوس ٠ وابن عبيد وابن اليمان رجل ٠ وآخران أزدي وبارقي غير منسوبين صحابيون (ملخص عن القاموس) ٠ والحذف محركة طائر أو بط صغار وغنم سود صغار ٠

(٣) في الأصل نقصان بعد الكلم الى قوله : وهي اخ وحباب كغراب الحية ٠ وحي من بني سليم ٠ واسم ٠ وجمع حبابة لدويبة سوداء مائية ٠ واسم شيطانة ٠ وأم حباب الدنيا وكسحاب اسم ٠ والطل ٠ وفي المخصص لابن سيده : والحباب حية ليس من عوارم الحيات ٠ وعم به ابو عبيدة جميع الحيات قال : وانما قيل الحباب اسم شيطان لأن الشيطان من اسماء الحية ٠ أما عجز البيت المستشهد به فقد جاء على هذه الصورة وفيه نقصان القافية وهو غير مستقيم وزناً ومعنى —

علقمة — يقال : انه لطعام شديد العلقمة يريد شديد في المرارة[1] .

زبان — حي من غني . وقال الشاعر :

لقيت زبان حد يوم كريهة وعلى صريم وابل صندبد

وأصله من الزبن . والزبن الدفع . وأنشد لأبي النجم :

تزبن لحيي لاهج مخالِ[2]

— ولم نجد في المراجع التي تحت متناولنا ما ينطبق على رواية البيت وتصحيح وزنه . ولكن رواه في المخصص هكذا[*] :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذي خروع قفر

والتعمج التلوي وعنى بالحضرمي الزمام أراد كأن تعمجه تعمج شيطان . وعلى هذه الرواية لا يكون البيت شاهداً ولعل عجز البيت :

(حباب نقا يلوى بذي خروع قفر)

(١) العلقم الحنظل . وكل شيء مر . والنبقة المرة وأشد الماء مرارة . والعلقمة المرارة . وجعل الشيء المر في الطعام وعلقمة الخصي . وابن عبدة الفحل . وابن علاثة شعراء هكذا في القاموس .

(٢) الزبن الدفع زبنته أزبنه زبناً . وتزابن القوم : تدافعوا والزبون الدفوع . فأما قولهم زبّان اسم رجل فقد يكون من الزبن فهو على هذا فعّال من الزبن كحمّاد من الحمد وقد يكون فعلان من الزبب وهو كثرة الشعر كما قالوا شعران . واختار ابو علي هذا الوجه وعلله بان مجيئه غير مصروف في الشعر أكثر (عن المخصص) وزبان بن مرة من الأزد . وزبان بن امرئ القيس وزبان حي من غني من غطفان وهم من بطن قيس بن عيلان .

أما البيت الأول فلم نعثر على اسم قائله ولم نجد له ذكراً في المصادر التي بين أيدينا . وقول أبي النجم (تزبن) وعجزه :

عن ذي قراميص لها مجحل

(*) وهي رواية اللسان أيضاً « حبب » (المجمع) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جحاش – من مجاحشة الرجلِ الرجلَ بالخصومة أو القتال . يقال : جحش وجهه اذا كدحه . وبعض العرب يقول : جحاس بالسين . ويقال : جحشه وجحسه في معنى واحد .. قال الشاعر :

ان عاش قامى لك ما أقامي والطعن في يوم الوغى الجحاس [1]

— هو من أرجوزة طويلة يبلغ عدد سطورها (١٩١) وكلها في وصف الابل وايرادها واصدارها . ووفد على هشام وقد ناهز السبعين وعنده جماعة من الشعراء فأمرهم بوصف الابل كأنه ينظر اليها في ايرادها واصدارها فأنشدوه وأنشده أبو النجم هذه اللامية فلما بلغ قوله :

حتى اذا الشمس اجتلاها المجتلي بين سماطي شفق مهول

فهي على الأفق كعين الاحول صغواء قد كادت ولما تفعل

أمر بوج، عنقه واخراجه . فعاش فقيراً طريداً وأغضب هشاماً قوله : (فهي على الأفق كعين الأحول) لأنه كان أحول .

وأما معنى بيت أبي النجم (فتزبن) تدفع (ولحيي) تثنية (لَحْي) وهما منبتا اللحية وهي شعر الخدين والذقن و (لاشج) من لج الفصيل أخذ في الرضاع وهو لهوج ولهج . و (مخال) يقال فصيل مخال اذا جعل له خلال والخلال عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع . وإياه عنى امرؤ القيس :

كما خل ظهر اللسان المجر

كذا في اللسان والفصول والغايات للمعري . ويعني بذي قراميص ضرعها أي اذا بركت صار له في الأرض قرموص وهو ما يحفره الطائر في الأرض ليبيض فيه . والمجل الذي فيه أثر من الصر وهو طلاء من طين أو سرقين يطلى على أطباء الناقة لئلا يرضعها الفصيل . (عن الفصول والغايات) .

(١) جاء في الصفحة (٤١) من هذا الحرف (جحوش) الجحش كالمنع سحج الجلد وقشره من شيء يصيبه أو كالخدش أو دونه أو فوقه . وولد الحمار جمعه جحاش وجحشان . وصحابي جُهَنِي . وزينب أم المؤمنين وأخواها عبد الله وعبد . —

الأخيف — اسم وهو أن تكون احدى عينيه زرقاء . فاذا اختلف فيه ضروب الأشياء قيل مخيف [١] .

مكرز — اشتق من الكرز . يقال للرجل اذا اختبأ في شجر أو مكان : قد كرز في مكان كذا وكذا وهو يكرز كروزاً . قال الشاعر :

فلما رأين الماء قد حال دونه ذعاف لدى جنب الشريعة كارز

وُكرز سمي بخرج الراعي الذي يحمله على بعض الغنم يجعل فيه متاعه . وُكريز تصغير خرج الراعي .. قال الشاعر :

ياليت أني وسبيعاً في الغنم والخرج منها فوق كراز أجم

وكزبير تصغير كرز [٢] .

— بنو جحش بن رئاب (رض) وككتاب بن ثعلبة أبو حي من غطفان (ملخص عن القاموس) .

وأما الجحاس بالسين . ففي القاموس جحس فيه كجعل دخل ، وبجلده كدحه وخدشه ، وفلاناً قتله والجحاس القتال وجاحسه زاحمه .

(١) فرس أخيف احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء ، ونزلوا بالخيف وهو المكان المرتفع ، وأخافوا وأخيفوا نزلوا بخيف منى ، وأخياف مختلفون ، وخيفت بأولادها جاءت بهم أخيافاً . وأشياء مخيفة اذا كانت ضروباً مختلفة (عن الأساس) وسموا أخيف .

(٢) البيت الأول للشماخ من قصيدة مشهورة ذكرها أبو زيد في جمهرته في المشوبات . والشماخ كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة اسمه معقل بن ضرار . وهو من أوصف الشعراء للقوس والحمر . قال يصف القوس :

وذاق فأعطته من اللين جانبا كفى ولها أن يفرق السهم حاجز

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

ويصف في البيت حمراً وردت الماء فأحست الصائد فنفرت منه . وكارز الصائد . وبعده :

خفاجة – اشتق من الخفج وهو عيب في المشي قال الشاعر :

أو خفجاً حرق رجلاً ويدا أو عرجاً أو نقباً بخفيددا [(١)]

قتيبة – اشتق من القتبة وهي المعي من أمعاء الانسان · يقال : طعنه فاندلقت أقتاب بطنه [(٢)] :

— ركبن الزباني فاتبعن به الهوى كما تابعت شد العنان الخوارز

أي انهزمن واحدة في إثر واحدة · فاتبعن أي قصدن هوى الحمار · وروى أبو زيد (على) بدل (لدى) والأساس (الى) ·

والكرّاز في البيت الثاني كشدّاد وهو الكبش يحمل خرج الراعي وكأنه نسب الى كرز الذي يحمله · وهو معروف عند الرعاة بهذا الاسم سواء أحمل الخرج أم لم يحمله ويتقدم الغنم في سوقها لمسرحها ويتخير من أشد الذكران قوة · وأجم من أجم العظم اذا كثر لحمه [(*)] ·

وسموا كارزاً وكريزاً ومُكرِّزاً ·

(١) الخفج محركة داء للابل · خفج كفرح · وخفج بفتح الفاء اشتكى ساقه تعباً · وحرق أي حك كلاً من يديه ورجليه بالأخرى · والنقب اما من النقابة وهو قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف رأسها من داخل · واما من نقب خف البعير رق وتنقب · أو من النقبة وهي أول الجرب وخفيدداً سريعاً · وفي المخصص عن أبي عبيد · فان كانت رجلا البعير تعجلان بالقيام قبل أن يرفعها كأن به رعدة فهو أخفج وقد خفج خفجاً وناقة خفجاء ·

(٢) القتب جمع أقتاب مثل سبب وأسباب · والأقتاب الأمعاء واحدها قتب مثل احمال وحمل · وقد يؤنث الواحد للمبالغة فيقال : قتبة · وتصغيرها قتيبة وبها سمي الرجل والنسبة قُتبي كجهني ·

(*) أو لعل المراد من الأجم من لا قرن له (المجمع) ·

زغلول — والزغل ان تقطع الناقة بولها زغلة زغلة ٠ وهي قطعة قطعة وكذلك الدم [١] ٠

هرماس — الشديد الحطوم لكل شيء ٠ يقال : أسد هرماس ٠ ومثله قرناس [٢] ٠

الدرواس — الغليظة الرقبة [٣] ٠

فزارة — اشتق من الفزر ٠ والفزر قطعك الشيء ٠ يقال : ضربه ففزر ظهره ٠ ومن ثمت قيل للأحدب أفزر ٠ قال الشاعر :

يدق معزاء الطريق الفازر دق الدراس عرم الأنادر

---

(١) عن الأساس ٠ صبية زغاليل صغار ٠ ويقولون : كيف زغلولك ؟ اذا سألوه عن صغيره ٠ وزغل الماء وأزغله اذا صبه دفعة دفعة ٠ وأزغل الشارب الشراب اذا مجه ٠ وفي القاموس و كسرسور الخفيف وامم ٠ والطفل (اه) ٠ ويسمون فرخ الحمام زغلولاً ٠

(٢) الهرماس بالكسر الأسد الشديد العادي على الناس كالهرميس والهرامس ٠ وولد النمر ٠ وابن زياد الصحابي أو هو لقب واسمه شرع ٠ والقرناس بالضم والكسر شبه الأنف يتقدم من الجبل ٠ ومن النوق المشرفة الاقطار (عن القاموس) ٠ أما الهرماس ففي صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعيد القرطبي ٠ ومنهم أي من أصحاب النبي (ﷺ) من بني نمير بن عامر بن صعصعة الهرماس بن زياد الباهلي روى عن رسول الله (ﷺ) ٠أورد له حديثاً ٠

(٣) فقه اللغة : في باب أوصاف فحول الإبل « فاذا كان العنق غليظاً شديداً فهو عرباض ودرواس ٠ وكذلك جعله في القاموس من أوصاف الجمل الذلول الغليظ ٠ وترى في الأصل انه من صفات الأنثى ٠ وقال في القاموس : والدرواس بالكسر علم كلب ٠ والكبير الرأس من الكلاب ٠ والشجاع والأسد كالدرياس ٠

العرم مثل الجبل يكون في الوادي والنهر منبع الماء • الأنادر البيادر[1] •

---

(١) فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر • وفلاناً بالعصا ضربه على ظهره • وفلان خرج على ظهره أو صدره ُفزرة أي عجرة عظيمة فهو أفزر ومفزور • والفِزر بالكسر : لقب سعد بن زيد مناة وافى الموسم بمزى فأنهبها • وقال من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فِزر وهو اثنان فأكثر • وابن البَبر وبنته الفزرة وأمه الفزارة كسحابة وهي أنثى النمر[*] وبلا لام ابو قبيلة من غطفان ملخص عن القاموس • وعن مبادئ اللغة للاسكافي •

والبَبر يسمى الفِزر • ويقال : انه قاهر للأُسد والفزرة الأنثى • وولد الذكر الهدَبس • والانثى الفَزارة ، قال الشاعر :

ولقد رأيت فزارة وهدبَسا والفزرَ يتبع فزره كالضيون

وفي المخصص عن صاحب العين الفِزر : ابن الببر والفزارة أمه • والفزرة اخته والهدبس أخوه ومنه اشتقاق فزارة للقبيلة •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما العرم هنا فهو مايجمع من الحصاد ويعرم بعد الدياس وموضع الدياس يسمى المَداس وهو الأندر والبيدر والجرين ويسمى بالفارسية جوان وجمع الأسماء الثلاثة أنادر وبيادر وأجرنة (ملخص عن مبادئ اللغة) •

وفي القاموس : الأندر البيدر أو ُكدَس القمح •

* * *

الى هنا انتهى كتاب الاشتقاق والتعليق عليه بقدر الطاقة ، ولا أزعم اني بلغت الغاية مما يقتضي وما يتطلبه التدقيق في الشواهد الشعرية ، وقد قمت بالمستطاع على قدر الامكان ، والله أحمد في البدء والختام •

في ٢٢ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠ و ٢٨ أيار سنة ١٩٥١

سليمان ظاهر

(*) البير نمر الهند وهو غير النمر الأرقط ، فلعل الصواب انثى الببر (مجمع) •

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

- ٢ -

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(تتمة)

(و) الدولة وتطوراتها (ص ٣٥٤ – ٣٨٩) :

ومع أن ابن خلدون لا يعرّف الدولة فاننا نفهم من كلمة الدولة عنده شيئين : الملك أو الدولة بالمعنى المفهوم اليوم ثم الأسرة الحاكمة . ثم ان للملك عند ابن خلدون معنى آخر هو الحكم . والفرق بين الملك والخلافة ظاهر ، فالملك هو «الحكم الدنيوي» والخلافة هي حمل الناس على أن يسيروا بمقتضى الشرع لبلوغ مصالحهم الأخروية وما يتصل بها من مصالحهم الدنيوية . وكذلك يفرق ابن خلدون مرة أخرى بين الملك والرئاسة بالعصبية . ان الرجل اذا أقر له تابعوه بالتقدم عليهم من تلقاء أنفسهم ، لفضل فيه عليهم ، فهو الرئيس بالعصبية . فاذا هو اضطر الى حملهم على طاعته بالقوة فذلك هو الملك .

وابن خلدون يتوسع كثيراً في الكلام على اعمار الدول . فالدولة لها عمر طبيعي كالأفراد ، وهو نحو أربعة أجيال أو نحو مائة وعشرين سنة ، ذلك لأن مؤسس الدولة يحافظ عليها لأنه جهد في توطيد أركانها . فاذا جاء ابنه ورأى ما عاناه ابوه حرص أيضاً على الاحتفاظ بها . فاذا جاء الجيل الثالث ظن أن الدولة حق له لا ينازع فيه فأهمل النظر في شؤونها . فاذا جاء الرابع غفل عن حقيقة الدولة وانصرف الى لهوه ثم جمع بطانة السوء حوله . اننا اذا فهمنا

« الدولة » على أنها الأسرة الحاكمة فحينئذ يصدق قول ابن خلدون الى حد. من ذلك مثلاً :

— بنو أمية منذ تولي معاوية على الشام سنة ١٨ ﻫ الى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ ﻫ ، ١١٤ سنة هجرية .

— آل تيودور في انكلترة منذ ١٤٨٥ الى ١٦٠٣ ، ١١٨ عام شمسي أو ١٢١ سنة هجرية .

— الأسرة العلوية في مصر منذ أصبح محمد علي خديوي مصر عام ١٨٤١ الى تنازل فاروق عام ١٩٥٣ ، ١١٢ عام شمسي أو ١١٥ سنة هجرية .

أما الأسر المالكة التي تعيش أكثر من أربعة أجيال كبني العباس في بغداد وآل بوربون في فرنسة والموحدين في المغرب والأندلس فهي في الحقيقة أسر تنتمي الى فروع مختلفة من أهل الدولة الواحدة . ومع انني لا أريد أن أصر على أن رأي ابن خلدون صحيح تماماً ، فانني لا أراه كثير الفساد .

(ز) الحروب (ص ٣٩٠ — ٤١٤) :

يتكلم ابن خلدون في هذا الفصل على أسباب الحروب ومذاهب الأمم في خوض حروبها وعن أدوات القتال .

(ح) النفس الانسانية (ص ٤١٥ — ٤٣٦) :

يرى الأستاذ ساطع الحصري ان من أبرز آراء ابن خلدون في « علم النفس » أنه رأى في النفس الانسانية ناحية الفكر وناحية العمل باليد ، « وانه قرن الفكر باليد وأظهر عمل اليد الأسامي في خدمة الفكر » . إن الصناعات التي يمارسها الانسان بيده تزيده قوة في عقله ووفوراً في ذكائه . فان برغسون الافرنسي لما ألف كتابه : « ينبوعا الأخلاق والدين » ومس هذه الصلة الوثيقة بين اليد والفكر لم يخرج في ما ذكره عام ١٩٣٢ عما كان ابن خلدون قد عرفه قبله بنحو أربعة قرون ونصف قرن (ص ٤٢٢) . وهنالك أيضاً ملاحظات أخرى قيمة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

متفرقة سبق فيها ابن خلدون علماء أوروبة المعاصرين ثم لم يقلّ عنهم اصابة رأي ولا عبقرية .

(ط) التربية والتعليم (٤٣٧ — ٤٨٤) :

التربية والتعليم موضوع هام جدًّا في مقدمة ابن خلدون : وقد خص ابن خلدون هذا الموضوع بفصول مستقلة ، كما انه أبدى ملاحظات هامة ورقيقة في فصول أخرى لا تتصل مباشرة بموضوع التربية والتعليم (ص ٤٤١ — ٤٤٣) . ومما يدل على عبقرية ابن خلدون في هذا الباب ربطه التربية والتعليم بعلم النفس وبالواقع الاجتماعي معاً . وليست غاية التربية والتعليم عند ابن خلدون نقل العلوم والعادات من شخص الى شخص (أو من جيل الى جيل) فقط ، بل من غايته أيضاً «جلاء معاني الانسانية في الناشئ» (ص ٤٥٦ ، راجع المقدمة ٥٤٠) .

ومن النظرات العميقة الدقيقة عن ابن خلدون ان ملكة علم من العلوم لا تستحكم في النفس إلا اذا حفظ المتعلم أصول ذلك العلم وفروعه ثم نسيها . حينئذ تمّحي (بتشديد الميم) رسوم العلم الظاهرة وتظل في نفسه أسسه ومنهاجه . ويعلق الأستاذ الحصري على هذه الملاحظة بقوله (ص ٤٧١) : «فان الأثر الذي يبقى في النفس من جراء الحفظ — بعد نسيان المحفوظ — من أهم الملاحظات النفسية التي تؤثر تأثيراً عميقاً في نظريات التربية والتعليم» .

ويبدي ابن خلدون في تعليم القرآن الكريم خاصة ملاحظة قيمة جداً . يذكر ابن خلدون أن أهل المغرب وأهل الأندلس (كأهل المشرق) يبدأون بتعليم القرآن الكريم للصبيان وهم صغار ، ثم هو يذكر أيضاً أن القاضي أبا بكر ابن العربي يقترح تأجيل تعليم القرآن للولدان الى أن يستطيع الولد التمييز والفهم (بعد أن يتعلم علوم العربية والأدب والحساب والفقه) إذ لا فائدة من أن يقرأ الولد شيئاً لا يفهمه . ويوافق ابن خلدون على هذا الاقتراح من حيث الأساس «اذ لا يجوز ان يلقّن الولد شيئاً «لا يفهمه» . ولكنه حينما ينظر الى

« واقع التعليم » يرى أن هذا الاقتراح مضر ، وذلك لأن المألوف ان ينصرف الناشئون عن الاهتمام بأمر الدين وحفظ القرآن اذا يفعوا ثم بلغوا مبلغ الصبا . من أجل ذلك يجب أن تنتهز الفرصة فيهم فيلقن الطفل القرآن الكريم ما دام خاضعاً لمن فوقه ، خالياً من نوازع الحياة . من أجل ذلك كان مذهب أهل المشرق والمغرب في تعليم القرآن للأولاد في أول سني تعليمهم أصوب من تركهم حتى يوغلوا في الصبا . ذلك لأنهم اذا لم يتعلموه في أول أمرهم لم يتعلموه بعد ذلك البتة (ص ٤٧٨ — ٤٧٩) .

(ي) التفكير والايمان — العقل والنقل (ص ٤٨٥ — ٥٠٨) :

ابن خلدون أشعري متدين في حياته الشخصية ، ولكنه متحرر يؤكد جانب التفكير المحض عند البحث ومعالجة الموضوعات . « ان ابن خلدون لم يحاول تحكيم الشريعة في كل شيء ولا رد كل أمر الى أحكام الدين » . لقد قال ان النبي بُعث ليعلمنا مسائل التوحيد والمعاد وليهذب نفوسنا ولم يبعث ليعلمنا الطب والفلك مثلاً . ثم هو يضرب على ذلك أمثلة ثابتة في الحديث الشريف منها مسألة تأبير النخل المشهورة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يتصل بهذا الباب ان ابن خلدون يخص العصبية بفصول كثار ويجعلها أساساً لنشوء الدول وللتناصر في الحروب ، ثم هو يفطن الى أن القرآن الكريم قد ذم العصبية ، فيقول : ان القرآن الكريم قد ذم العصبية من حيث هي مثار للتنازع الداخلي وللحمية الجاهلية . ولكن « اذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله [فانها حينئذ] أمر مطلوب . ولو بطا[ت العصبية في هذه الأمور] لبطلت الشرائع ، إذ لا يتم قوامها [قوام الشرائع] الا بالعصبية » (ص ٤٩٥) .

فابن خلدون يتبع إذن في أمور العلم والاجتماع سبيل العقل لا يحيد عنه . وأما في الماورائيات (في أمور ما وراء الحس : كالإيمان بالله والآخرة وما يتبع ذلك من الفروض التي فرضها الدين) فهو يأخذ بما جاءت به الأوامر الدينية ، إذ يعتقد ان هذه الأمور خارجة عن نطاق العقل .

(ك) الخط والكتابة (ص ٥٠٩ — ٥٢٢) .

(ل) المدن والأمصار (٥٢٣ — ٥٣١) :

ولابن خلدون ملاحظات قيمة في الشروط التي يجب أن تراعى عند بناء المدن من الناحية الصحية والاقتصادية والعسكرية والعمرانية .

(م) الحياة الاقتصادية (٥٣٢ — ٥٤٢) :

ان الاعتقاد بأن الأمور الاقتصادية تتبع قوانين ثابتة ومناهج معينة ، وتدوين ذلك تدويناً منظماً ، لم يبدأ في رأي الغربيين الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ولكن ابن خلدون سبق كتاب الغرب ومفكريهم في هـذا الاعتقاد بمدة لا تقل عن أربعة قرون (ص ٥٣٣) .

ومن الأمور التي سبق ابن خلدون فيها علماء الاقتصاد المحدثين — حتى المتأخرين من غلاة الماركسية — إعلانه منذ القرن الرابع عشر «ان الكسب انما هو قيمة الأعمال الانسانية» ... «وان الرزق والثروة نتيجة العمل من حيث الأساس ، إلا أن قيمة الأعمال تختلف باختلاف الأحوال الاجتماعية العامة» (ص ٥٣٦ ، ٥٣٧) .

(ن) التشبيهات المادية (ص ٥٤٣ — ٥٥٠) :

هذا الفصل القصير طريف جداً لأنه يكشف لنا عن ناحية مهمة من أسلوب ابن خلدون ، وصلة هذه التشبيهات المادية بابراز آراء ابن خلدون ابرازاً قوياً .

٦ — تكملة : جولة بين الكتب والمجلات (٥٥١ — ٦٣٨) :

مما يؤسف له ان ابن خلدون الذي حل مقاماً سامياً عند كثيرين من كبار رجال الفكر ومؤرخي علم التاريخ والاجتماع من الغربيين قد تعرض لحملة عنيفة شنها عليه العرب . وزعيم هذه الحملة الدكتور طه حسين . فمن التهم التي وجهها الدكتور طه حسين لابن خلدون قوله :

(أ) ابن خلدون يشك في نسب نفسه ، اي انه بربري وليس عربياً .

(ب) ابن خلدون لم يفكر في جعل التاريخ علماً ولم يفهم مسائل التاريخ الأساسية .

(ج) من المبالغة الكبيرة أن تقول ان ابن خلدون يستحق لقب عالم اجتماعي .

(د) زعم الدكتور طه حسين ان ابن خلدون قد استمد آراءه في علم الاجتماع من قضايا التاريخ (ولم يلاحظ العالم الاجتماعي الواقع) .

(ه) يدعي الدكتور طه حسين بوجود تناقض منطقي في طريقة ابن خلدون (ص ٥٦٧) .

(و) اتهم الدكتور طه حسين ابن خلدون في أخلاقه وفي وطنيته .

(ز) نسب الدكتور طه حسين ابن خلدون الى قلة الأمانة العلمية فابن خلدون لم يعرف ، عند الدكتور طه حسين ، من بعض الكتب التي ذكرها الا اسماءها . وابن خلدون عند الدكتور طه حسين لا يفرق بين كتب الفقه وكتب أصول الفقه ، وان ابن خلدون لم يطلع على كتاب الأغاني .

ومع أن هذه الأمور لا صلة لها بدراسة مقدمة ابن خلدون فانها مما يجدر أن يستوقفنا قليلاً ، لأن الدكتور طه حسين اراد أن يهدم عبقرية ابن خلدون كلها . غير أننا لا نحتاج اليوم الى تفنيد « اتهامات » الدكتور طه حسين فان بطلانها قد اتضح تماماً ، ثم هي لا تقدح في رجل مثل ابن خلدون . ولكن يحسن أيضاً أن نتحرى أسباب هذه الحملة الشعواء التي شنها الدكتور طه حسين على ابن خلدون . ان هذه الأسباب ، حسب رأي الأستاذ ساطع الحصري ، تتلخص فيما يلي :

(أ) ان طه حسين لم يقرأ المقدمة بانعام نظر (ص ٥٥٣ ، ٥٧٥) .

(ب) ان طه حسين كتب اطروحة عن ابن خلدون (عام ١٩١٨) وهو بعد « حديث عهد بدراسة علم الاجتماع » ولم يكن قد احاط يومذاك بنظريات علم الاجتماع وتاريخه الاحاطة الكافية . كما انه لم يكن قد وجد متسعاً من الوقت للتعمق في دراسة ابن خلدون التعمق اللازم (ص ٥٦٣) .

(د) « ويظهر ان الدكتور طه حسين كان مدفوعاً بروح انتقاد عنيفة » ...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على ابن خلدون (ص ٥٦٢)، فكان يتقول على ابن خلدون ما لم يقله ابن خلدون (ص ٥٥٣، ٦٧٥) إن «الدكتور طه حسين لما ادعى بأن ابن خلدون يستند في علم العمران الى التاريخ قد عزا اليه رأياً لم يقل به قط، وخطة لم يسلكها قطعاً (ص ٥٦٨).

(ﻫ) ان نظرةً منصفة الى فهرست فصول المقدمة (فقط) تكفي لتفنيد بعض مزاعم طه حسين (ص ٥٧٢).

(و) ان الدكتور طه حسين تجاوز حدود الحق والحقيقة كثيراً في بعض استنتاجاته (ص ٥٧٣ — ٥٧٤).

(ز) أما الزعم الذي زعمه الدكتور طه حسين بأن ابن خلدون لم يستطع الاطلاع على نسخة من كتاب الأغاني فراجع الى أن الدكتور طه حسين لم يقرأ مقدمة ابن خلدون في هذا الشأن، بل قرأ في الترجمة الافرنسية للمقدمة نفسها. ولقد اتفق ان المترجم الافرنسي أخطأ فهم جملة وردت في المقدمة عن كتاب الأغاني فاتبعه أحد المستشرقين في ذلك. ثم جاء طه حسين فأخذ عن هذا المستشرق فأخطأ هو أيضاً. يقول الأستاذ ساطع الحصري.

«واستبعدت كل الاستبعاد أن يخطئ الدكتور طه حسين في فهم مضمون مثل هذه الفقرات. وخطر ببالي أن أراجع الترجمة الافرنسية، وعندئذ توصلت الى مصدر هذه الغلطة: ان المترجم الافرنسي لم يفهم معنى هذه الفقرة كما يفهمها كل عربي على أساليب لغته... من أجل ذلك صرت أظن ظناً قوياً بأن الزعم (من عند طه حسين) بوجود تناقض بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون وبين ما ورد في ترجمته عن كتاب الأغاني قد بدا لأحد الغربيين الذين يدرسون المقدمة من ترجمتها الافرنسية. وانتقل هذا الزعم منه الى الدكتور طه حسين حينما كان مشغولاً بكتابة أطروحته؛ والدكتور أدخل هذا الرأي في كتابه من غير أن يراجع نصوص المقدمة وينعم النظر في معانيها، ومن غير أن

ينتبه الى غلطة المترجم في هذه القضية . ولذلك وجه الى ابن خلدون هذه التهمة الجائرة التي تخالف الحق والحقيقة كل المخالفة » (ص ٥٨٨ — ٥٨٩) .

وهنالك تهم أخرى ، أو أكثر تفصيلاً ، وجهها الدكتور طه حسين ونفر قليلون آخرون من العرب لا يجوز أن نقف عليها طويلاً ، لأنها كلها لا تخرج عن الفلك الذي تدور فيه اتهامات الدكتور طه حسين نفسه . ولعل الانصاف في شأن ابن خلدون أن نقول ان طه حسين يمثل (أو كان يمثل على الأقل) « مدرسة ماسنيون » التي تقف جهودها على تحطيم مآثر العرب (ولعل طه حسين كان من طلاب ماسنيون) .

ثم ان الدكتور طه حسين ليس من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تعرض له .

* * *

وإن مما يؤسف له ان في هذا الكتاب القيم أخطاء كثيرة أكثرها مطبعي وبعضها فقط ليس مطبعياً ، على أن هنالك أخطاء تشوه وجه هذا الكتاب أو تصرف المعنى من وجه الى وجه حتى يستغلق أحياناً . من أجل ذلك أحببت أولاً أن أسرد هذه الأخطاء ولكن وجدت أن سردها بالتفصيل يملأ عشرين صفحة على الأقل ، فاكتفيت بالتنبيه على أنواعها ، ولقد كان على « دار المعارف » أن يكون إشرافها على الطبع والتصحيح أحسن مما فعلت ، فان مثل هذا الاشراف كان يخفض هذه الأخطاء الى عدد يسير لا يكاد يخلو من مثله كتاب يطبع في البلاد العربية . ولكن بما ان الأستاذ ساطع الحصري « بغدادي الأسلوب » يطلب صحة المعنى ودقته من غير أن يلتفت الى جريان تراكيبه على المنهج البدوي القديم ، وليس ذلك بعيب كبير ، آثرت الاضراب عن استدراك « الأفصح والأمتن » اذا كانت الألفاظ والتراكيب تؤدي المعاني تأدية لا لبس ظاهراً فيها :

أ — الأعلام : لم يتقيد الكتاب بضبط الاعلام ، فالأعلام اليونانية مثل أثينة والاثينيون وثرموبوليس ترد أحياناً بالتاء المثناة من فوقها وأحياناً بالثاء

المثلثة (ص ١٨ ، ١٩ ، ٢١ الخ) . وكذلك يقول الكتاب باريس وبارس (ص ١١١ ، ١١٢) ثم بوسسوئه وبوسوئه (ص ٣٥ ، ٣٦) ثم افوبقا وافريقيا وأفريقية . ثم هنالك تئورور مكان تئودور (ص ٦٩) ثم عمر بن خلدون ، وعمر ابن خلدون ، ابن خلدون (ص ٤٣) . وقال العطارد مرتين مكان عطارد (ص ٣٠) ، رس مكان سفروس Severus (ص ٢٤) ، وقال كتاب الموطأ لابن مالك مكان مالك بن أنس (ص ٧١) ، ثم نحص مرماجنة مكان نحص قرطاجنة (ص ٧٣) ، وقال من سلالة ابي النحص والفاروق (ص ١٣٢) مكان من سلالة أبي حنص الفاروق (؟) ثم زنباغ بالغين المعجمة مكان زنباع (ص ٤١٢) ثم دهبوير مكان دهبور (ص ٢٥٨) ثم ناتانيل شميث بالتاء وبالثاء مرة بعد مرة (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٣) . ثم يقول هامر (ص ٢٤٩ ، ٢٥٠) وهامر بورشتغال (٦١٢) والصواب فيهما كليهما هامر بورغستال . وهنالك أخطاء أخرى أيضاً . ولقد كان الأولى أن تضبط هذه الأعلام ضبطاً صحيحاً . أما الصواب في لفظ الأعلام فلفظ أهلها لها ، نحن نقول في اللغة الهولندية مثلاً دهبور في De Boer لا دهبوير . أما اذا لم يتمكن مؤلف من ذلك فالصواب أن يعتمد لفظ جميع الأعلام من لغة واحدة : اللفظ الافرنسي أو اللفظ الانكليزي مثلاً الا ما كان مشهوراً فيترك على شهرته وان خالف هذه القاعدة .

٣ – الألفاظ اللغوية . وهنالك أخطاء مطبعية كثيرة جداً نحو الحبابات بالحاء والصواب الجبابات بالجيم (ص ٢٧١) ثم بترع والصواب بنزع (ص ٣٣٧) ثم النصقة بالقاف وصوابها النصفة بالفاء ثم المناقسة بالقاف والصواب المنافسة بالفاء (٣٤٩) ثم مماثلة والصواب مماثلة (ص ٣٢١) ثم عات وصوابها عادت (٢٤٦) وعشرات مما يمكن أن يعرف بتأمل قليل أو كثير . على أن هنالك أخطاء يجب التنبيه عليها لأنها تصرف المعنى من وجه الى وجه ، وبعضها قد يصعب

التفطن اليه لأنه مثبت في « الدراسات » وفي مقدمة ابن خلدون بصورة واحدة :

ص ٣٣١ : ندورها بالراء — الصواب ندودها ؟ بالدال .

ص ٣٦٩ : شكيهم بالباء الموحدة من تحتها — والصواب شكيتهم بالتاء المثناة من فوقها .

ص ٣٨٧ : ويحرمون عن قتالهم — والصواب ويحومون عن (؟) .

ص ٤٠٦ : ضربت ، بالباء بنقطة واحدة من تحتها — الصواب ضريت بالياء المثناة من تحتها .

ص ٨٦ : وهؤلاء تلقوه بالتخفي (بالخاء المعجمة) — والصواب بالتحفي بالحاء المهملة .

ص ٨٩ : بيأى (؟)

ص ١٠٧ ليجبروا (؟)

ص ٤٠٨ : بالصريح (بالحاء المهملة) — الصواب بالخاء المعجمة .

ص ٤٨١ : وانهم على ابج (في المقدمة ٤٨١ أيضاً : على بج ؟) .

ص ٥٠٦ بنفسون — الصواب بقيسون .

هذه الأخطاء يسأل عنها المؤلف لأنها كلها أخطاء واردة في المقدمة ، وكان المنتظر من المؤلف أن يصححها ولكنه لم يفعل . ومن أغرب الأخطاء قول المؤلف : « ولم تشتعل المذنبات في السماء ... » (ص ٢٣) وهو يقصد طبعاً « الشهب » ثم هنالك « انتفاض » انتفضت ... بالفاء (ص ٩٣ ، ٢٤٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩) والصواب انتقاض انخ بالقاف . وكذلك « صيفة » بالياء المثناة وصوابها صبغة بالباء الموحدة (ص ٢٤٨) . ثم هنالك قوله « خيبة الفشل » (ص ١١٨) وهو يقصد « مرارة الخيبة » . ومثل ذلك « لا يخرج حرمها » (ص ١٣٥) مكان « لا يخرج من حَرَمِها » . وقال السلطة المتفضية بالغين المعجمة (ص ٢٨٧) ولعله يقصد (المتعضية) بالعين المهملة . ثم هنالك الذكاء بالذال المعجمة (ص ٤٢٧) والصواب بالزاي . ثم اللام (ص ٤٦٩) وهي الكلام ، ويحسنون (ص ٤٦٥) وهي يحسبون . ثم يجد (ص ٤٦٤) وهي يجيد ، ثم الكفاءة

(ص ٤٢٣) وهي الكفاية . ثم تصدمهم (٤٧٥) وهي تصدم. ثم شذا (ص٤٤٧) وهي شدا . ثم منتضباً بالباء الموحدة من تحتها (ص ٥١٨) وهي منتضياً بالياء . ثم هنالك غير ذلك من أمثال هذه الأخطاء التي يمكن أن ترد الى الاهمال في « تصحيح الملازم » .

٣ – التركيب : وكذلك تكثر أخطاء التركيب والنحو كاضافة مضافين الى مضاف اليه واحد ، نحو : بنقل وتلخيص ما قيل عنه ... مكان بنقل ما قيل عنه وتلخيصه ، وهو كثير جداً . وكذلك قوله نفس السنة مكان السنة نفسها ، ومثل هذا التركيب أيضاً كثير . وقوله : وهو يقسم الى قسمين مكان يقسم قسمين . ومما لا يجوز إغفاله كثرة أخطاء النحو :

ص ١٤٢ : يجب علينا ألا « نفس » .

ص ١٥٥ : ان مقصود قدامة من كلمة العرب هو الأعراب « البدويين » .

ص ١٦٣ : « ثلاثة » طبقات .

ص ١٩٣ : ولم يأت شعب أفضل « ويستولي » على البلاد .

ص ٢٢١ : ان سكان البلاد الحارة « يكونوا » .

ص ٢٣٥ : أرضي أصحابها أم « أبي » .

ص ٣١٤ : أهل هذه الأقاليم « متأخرين » .

ص ١٠٢ : يتضمن كتاب التعريف « نصوص » عدة ... و « خطاب وارد » .

ص ٣٨٧ : الا أن الآخرين « يكونوا » .

ص ٤٥٧ : ان لكل شيخ ... اصطلاحات خاصة و « منهج خاص » .

ص ٤٧٦ : والسبب في ذلك أن أهل الملة « متفقين في القول ... كما انهم « متفقين » ...

ص ٤٨٢ : لو اقتصر « المعلمين » ...

ص ٥١١ : فيكون خطة « قاصر » ...

ص ٥٩٥ : وكل من يقرأ ... « ير » ...

وكذلك قال القدرية (ص ٦٢٢ و ٦٢٣) وهو يقصد الجبرية ، لأن الأصوب في مذهب القدرية انه مشتق من القدرة ·

وهنالك أخطاء كثيرة يدركها المطالع بتأمل يسير ، ولكن مثل هذا الكتاب كان يجب أن يعرى عنها ·

* * *

على أن هذا الكتاب قيم جداً · ولقد أدى الأستاذ الحصري فيه رسالتين عظيمتين : أولاهما أنه جلا عبقرية ابن خلدون وقدم للباحثين دراسة هي أوفى ما كتب في هذا الموضوع الى اليوم · وثانية تينك الرسالتين انه دافع عن التراث العربي دفاعاً حقاً · غير أننا نأمل أن تكون الطبعة المقبلة مبنية على جميع دراسات الأستاذ الحصري السابقة وحاوية لجميع ملاحظاته القيمة مقيدة الشواهد بصفحات الكتب ·

ان كثيرين من عباقرة الفكر العربي لا يزالون بحاجة الى مثل هذه الدراسة الواسعة فعسى أن يتاح لهم ما أتيح لابن خلدون في هذا الباب ·

الدكتور عمر فروخ

دار الحديث العروية

هي من المدارس التي كانت في الجامع الأموي . أنشئت في القرن السادس الهجري . تنسب الى سيف الدين محمد بن عروة المتوفى سنة ١٢٢٣/٦٢٠ . كان مكانها مشهداً توضع فيه الحواصل الجامعيّة ، ففتحه ابن عروة ، وبنى فيه بركة ، ووقف فيه على الحديث النبوي درساً ، ووقف أيضاً فيه خزائن كتب [١] .

وقد وردا ختلاف في النصوص التي تكلمت على دار الحديث هذه في تحديد مكانها .

فقد ذكر النعيمي ، المتوفى سنة ١٥٢١/٩٢٧ ، عند الكلام عليها: « انها بمشهد عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع قبلي الحلبية ، ويُعرف قديماً بمشهد علي » [٢] .

وذكرها مرّةً ثانيةً عند كلامه على التاجيّة فقال : « التاجية بزاوية الجامع الأموي الشرقية غربي دار الحديث العروية » [٣] .

وقد تبعه مختصروه ومن نقلوا عنه . فذكر ذلك العلموي في مختصر تنبيه الطالب [٤] ، والغزي في الكواكب السائرة [٥] ، وكردعلي في خطط الشام [٦] ، وتقي الدين في منتخبات التواريخ [٧] .

---

(١) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠١/١٣ (القاهرة ١٣٥٨ هـ)
(٢) النعيمي ، تنبيه الطالب ٨٢/١ (دمشق ١٩٤٩)
(٣) المصدر السابق ٤٨٣/١
(٤) العلموي ، مختصر تنبيه الطالب ص ١٥ (دمشق ١٩٤٧)
(٥) الغزي ، الكواكب ١ : ٢٥٧ (بيروت ١٩٤٢)
(٦) كردعلي ، خطط الشام ٦ : ٧٤ (دمشق ١٩٢٨)
(٧) تقي الدين، منتخبات تواريخ دمشق ٩٤٠/٣ (دمشق ،لاتاريخ لطبع هذا الجزء) قال : لصيقة الجامع الأموي من جهة باب القيمرية وقد صارت داراً وتكية لكل من يتولى ذكر النقشبندية في الزاوية التي هي جانب الدار

غير أننا بعد البحث والاستقصاء تبين لنا أن ما ذكره النعيمي كان خطأً . وأن النصوص القديمة التي سبقت عصر النعيمي تخالف ما ذكره تماماً .

ففي القرن الثامن نجد ابن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ٧٤٩ / ١٣٤٨ ، يذكر عند الكلام على مشاهد الجامع الأموي ما يلي :

« والغربي بقبلة مشهد على اسم عمر ويُعرف الآن بمشهد عروة ، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب وقف »[1] .

فنص العمري على نقيض نص النُعيمي . فالأول يذكر أن اسم المشهد على اسم عمر في حين أن الثاني يجعله على اسم علي ، والعمري يذكر انه في الغرب في حين يذكر النعيمي أنه في الشرق .

فإذا رجعنا الى نصوص القرن السابع ، وجدنا أبا شامة صاحب كتاب الروضتين، المتوفى سنة ٦٦٥/١٢٧٦، يذكر أن هذا المشهد في غرب الجامع أيضاً[2] .

فهذان النصان لا يدعان مجالاً للشك ، وخاصة أن أبا شامة كان معاصراً انشاء المشهد .

ويؤيد تخطيئنا النعيمي ما وجدناه أثناء مطالعاتنا في مخطوطات دار الكتب الظاهرية من سماعات قديمة في هذا المشهد ورد فيها تحديد لموقعه .

فالسماع الأول مؤرخ في سنة ٦٢٢/١٢٢٥ أي بعد سنتين من وفاة ابن عروة . وهو سماع على زكي الدين البرزالي العالم المحدث ، ولهذا السماع شأن . فقد جاء فيه أنه « سمع عليه جزءاً من الفوائد عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم :

---

(١) العمري ، مسالك الأبصار ١٩٦/١ (القاهرة ١٩٢٤) .
(٢) أبو شامة ، ذيل الروضتين، ص ١٣٦ (طبع باسم تراجم القرنين السادس والسابع، القاهرة ١٩٤٧)

عبد الله بن محمد الزناتي ، واسمعيل بن عيسى بن رشيد الصقلي ، بقراءة علم الدين محمد بن أحمد بن محمد الاشبيلي ، وأبو موسى عيسى بن احمد المرسي ، ومحمد بن علي المدني الحجازي ، والفقيه محمد بن ابرهيم بن عياش الصنهاجي ، وهبة الله بن اسمعيل البعلبكي ، ومحمد بن عمر بن سلامة المعري ، وأيوب ابن مسعود بن صبح البغدادي ، وابرهيم بن اسمعيل بن ابرهيم المقدمي ، وفضل ابن سعيد البصراوي ، وعبد الرحمن بن أحمد بن حسن الهمذاني ، وعبد الخالق ابن شفيع بن عمار الكفركتّي .

« بزاوية الشرف بن عروة ، غربي جامع دمشق المحروسة ، في رابع عشر ربيع الآخر سنة « اثنتين وعشرين وستمائة » [(١)] .

فهذا السماع يحدّد لنا أن مشهد ابن عروة — ويسميه زاوية — هو في الغرب ، وليس في الشرق كما وهم النعيمي . والى ذلك يبين لنا ناحيةً أخرى تفيد في تأريخ النهضة العلمية في دمشق أيام الأيوبيين ، هي توارد الناس من جميع البلدان على دمشق لطلب العلم فيها . فالأشخاص الذين سمعوا جزء الأصمّ على البرزالي هم من أقطار مختلفة : من الأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى ، والحجاز ، وبغداد ، وفارس ، والشام . وهذا السماع يدل على ما كان لدمشق يومئذٍ من الشأن العلمي الكبير ؛ ويبين من ناحية ثانية شأن البرزالي نفسه .

وثمة سماع آخر وجدناه للجزء الثاني من الفوائد المنتقاة [(٢)] عن الشيوخ العوالي

---

(١) جزء من الفوائد المنتقاة عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٥٦ آ

(٢) الثاني من الفوائد المنتقاة . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ١٨ ، الرسالة العاشرة ، ورقة ١٧٢ ب

على الشيخ المسند نجم الدين ابي بكر محمد بن علي بن مظفر النشبي ، في سنة ٦٨٦/١٢٨٧ ، وفي آخره ما يلي :

« وصح وثبت في يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وستين وست مئة بمشهد ابن عروة ، غربي جامع دمشق حرسها الله تعالى » .

فيتبين من نصوص المؤرخين الذين سبقوا النعيمي ، ومن السماعات التي كتبت في المشهد نفسه ، أن هذه المدرسة (أو الزاوية ، أو المشهد) كانت في الغرب من جامع دمشق ، وليس في الشرق . وأن النعيمي وهَمَ - وفي كتابه كثير من الأوهام - عندما نقله من غرب الجامع الى شرقيه .

الدكتور صلاح الدين المنجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٢ —

٣ — العهد الأخير في العراق

من سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م — الى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م

في هذا العهد زادت الثقافة ، وقوي الاتصال بالترك في الهيأة الجديدة والعلوم المتعلقة بها ، ومراعاة ما حدث من تجدد كما يشهد بذلك وجود المؤلفات المتداولة بين ظهرانينا ، والعلاقة بهذه المعرفة الجديدة في مجلدات عديدة الا أن هذه المعرفة محدودة وغير مكينة في أصل الدولة فلا مجال للتمكن منها في العراق . وهو خالٍ من عارفين باللغات الغربية ، وليس لنا رصد ليميل القوم الى التحقيق العلمي . وان العراق في اشتغاله معروف . والواجب يقضي أن ندوّن ما جرى .

وفي هذه الحالة لا ينكر هذا الاتصال المحدود . وهذا قد يكفي صاحب المواهب أحياناً لتقوية ما هنالك . نشاهد الآثار في النشاط الجديد ولم نر تمكناً أو تضلعاً كبيراً . كان الأستاذ أبا الثناء الآلوسي لم يقصر في هذه المعرفة ، وان علاقة ابراهيم فصيح الحيدري بالهيأة الجديدة مشهورة ، وتداول زيج حسين حسني معلوم كما أن البحث في الهيأة الجديدة وانها لا تنافي الاسلام مما جلب الأنظار اليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا كله يحتاج الى تفصيل بذكر العلماء المشتغلين وما قاموا به من تدوين آثار الا أننا نقول ان هذا الاشتغال في حالته الجديدة كان يراعى فيه الارتباط بالمخلفات السابقة في بدء الأمر ، ثم مال البعض الى الغرب وأخذوا رأساً منهم قبل أن يتمكنوا مما عندنا ، فانقطعت الصلة بالتاريخ وبالمصطلح . وكأننا أغفلنا ما عندنا أو عدنا لا نعرف أننا اشتغلنا قروناً كثيرة في هذا العلم وخلدنا آثاراً لا تحصى عداً بل الانتباه الأخير الى تاريخ العلم صار يأتينا من طريق الغرب . فكانت المعرفة مدخولة ومغلوطة . نشاهد ذلك في قاموس الرياضيات وفي (تراث العرب العلمي) وأمثالها من المؤلفات العلمية والتاريخية .

ومن علمائنا في هذا العهد :

١ — السيد كاظم الرشتي :

من المتوغلين في كتب الحكمة وله شرح غريب على رسالة الاسطرلاب للشيخ البهاء العاملي . وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ . وهو رئيس فرقة الكشفية المشتقة من الشيخية . وله المكانة الرفيعة بين رجال طائفته . وهو من أهل كربلاء .

٢ — أبو الثناء الألوسي :

رأينا مدرسين عديدين لم يظهروا في التأليف . والكتب المدرسية لم تختلف عن سابق العهد الا أنها اقتصرت على شرح الجغميني الملخص الهيئة لقاضي زاده الرومي ، وأحياناً شرح السيد الشريف الجرجاني ، أو تشريح الأفلاك ، والصفيحة في الاسطرلاب للبهاء العاملي ولا تكاد تتجاوز هذين الأخيرين .

والأستاذ الألوسي لم يقف عند حدود هذه المؤلفات ولا هذه المعرفة ، وانما مال الى مؤلفات عديدة من علمية ومدرسية . وراعى تقدم الفن في عهده ، ولم يقصر اشتغاله على ما اشتغل به أسلافه ، فنراه في مؤلفاته مثل الفيض الوارد ، والمؤلفات الأخرى لا سيما التفسير قد أبدى فيها قدرة علمية ، وجارى تبدل الفكرة وتطور الفن ، فكتب في تفسيره الشيء الكثير ، وبث في مؤلفاته تجدداً محسوساً كما أنه لم ينس آراء القدماء وما قالوا به .

وهذا لا يكفي في بيان صفحة من صلاته ، وانما أحاول أن أوضح ما قلت بايراد بعض النصوص من تفسيره أو من سائر كتبه لافتح الطريق للمتتبع ، وأراعي الايجاز بقدر الامكان . فان وضعنا تاريخي في الاتصالات العلمية ، والعلاقات الغربية المهمة ... وهل كان ذلك من طريق الترك وهو الملحوظ أكثر أم من طريق الاتصال بالغربيين رأساً ؟ ومن المحتمل ان علاقته بالافتاء قد مكنته من الاتصالات بالسياسيين وزياراتهم والمباحثة معهم عما صار اليه الفن الجديد بل نرى علمه مكيناً من أيام داود باشا يدل على ذلك كتابه الفيض الوارد . ولا شك أن هؤلاء الأجانب لا يخلون أحياناً من المعرفة العلمية أو ذكر ما علموه من الاتصال بعلمائهم في الفلك والكل منهم عارف بالاجمال العلمي ...

بقي الاحتمال في طريق الأخذ . والألوسي قد تلقف مثل هذه المعرفة . وهي مكينة ، فاقتنص ما احتاج اليه مما لا يضطره الى وقت طويل . وكان الاحتكاك بأفاضل الترك مشهوداً . وبينهم من استكمل المعرفة العلمية دون التلقف من الأفواه والمعرفة العابرة وهذه سابقة الاتصال بالافتاء . ولا أطيل في الترجيح ، وانما أرجع الى معلومات الألوسي وأقتبس بعض المطالب منه لأمثل وضعه من هذا العلم ...

١ — في كتابه الفيض الوارد ذكر الشمس وأنها في السماء الرابعة على رأي الأقدمين . قال : ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك . ثم قال : وقد اختلف العلماء في مقدارها والمشهور أنها مثل الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ... والذي ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج أن الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها ، وانها أعظم من الأرض بألف ألف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة ، وأن لها حركة على نفسها . وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة أنها تدور على نفسها في ٢٥ يوماً و ١٢ ساعة . وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وأن الأرض إحدى السيارات . وهي عندهم :

عطارد والزهرة والأرض والمريخ ووسنه . وقد كشفها رجل منهم يقال له أوليوس في حدود سنة ١٢٢٣ هـ ، ويبوثون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ١٢٢٠ هـ ، ومريس وقد كشفها رجل منهم يقال له بياضي في حدود سنة ١٢١٦ هـ ، وبلاس وقد كشفها أولبوس أيضاً في حدود سنة ١٢١٧ هـ والمشتري وزحل واورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل في حدود سنة ١١٩٧ هـ . ولم يعدّوا القمر من السيارات بل من سيارات السادات . لأنه يدور حول الأرض دورانها حول الشمس ... الى آخر ما قال ...

وهذه معرفة من اطلع على الآراء في الهيئة الجديدة . والتفصيل في الفيض الوارد[1] .

٢ — مضى في بحث التواريخ واستعمال الحروف للتعبير بها . وقد بسط القول في التواريخ ، فذكر العربي منها وفصل القول فيه ، وتكلم في النسيء . وما كان مستعملاً من التواريخ الأخرى . وذكر وضع التاريخ في الاسلام أيام عمر (رضي الله عنه) . وذكر تاريخ العجم . ونقل أقوال السهيلي ، ويونس الحاكي ، وابن الشاطر ، وتكلم في التاريخ الرومي ، ويسمى أيضاً بالسرياني ونقل قول صاحب المنهاج وهو (ابن البناء) ، وقول (الصوفي) في زيجه . وهكذا ذكر ما في المبادي والغايات يريد (جامع المبادي والغايات) . نقل ذلك عن السهيلي . ثم ذكر تاج الأزياج لابن أبي الشكر . ونقل عن زيج أولوغ بك وسمى زيجه هذا بسلطان الأزياج . وقال : اعتمده العلامة (محمد بن محمد بن سليمان المغربي) في منظومته ، وعين التاريخ الشمسي ...

ثم استمر الألوسي بتفصيل ما هنالك وقال :

والمغاربة والافرنج شهور أخر ممن يستعمل هذا التاريخ مخالفة لهذه الأسماء والمبدأ ، ويسمونها بأسماء عجمية وتبدأ من ينابر ، فبراير ... ووسع بحثه في التاريخ الميلادي ومال الى التاريخ القبطي ، ونقل عن البيروني ما يؤرخون به ...

(١) الفيض الوارد ص ١٧٠ . وفي كتاب (بسائط علم الفلك) جاء التفصيل مع ذكر اسماء المكتشفين بضبط تام .

وهكذا ذكر التاريخ الفارسي ، ثم فصل التاريخ الملكي وهو الجلالي ، نسب الى السلطان جلال الدين (ملكشاه) ابن الب أرسلان السلجوقي ... وبيّن تواريخ عديدة حتى قال :

وبالجملة الكلام كثير في هذا المقام قد أفرده بالتأليف جماعة من العلماء الأعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لأتينا بما يسر الناظر ويبهج الخاطر (١) ...

ويدل على تمكنه وسعة اطلاعه أنه لم يفلت العلاقة بالماضي مع مراعاة التجدد العصري . ولو رجعنا الى تفسيره روح المعاني لرأينا العلاقة أعظم والمعرفة أقوى والتفصيل أجل نفعاً ... والعلاقة كبيرة بالهيئة الجديدة .

وهذا يبصرنا بأن علماءنا لم يغفلوا تطور العلوم والتجدد فيها . وكان الأستاذ الألوسي من أول المشتغلين في ابداء ما جرى من تحول في هذا العلم .

توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م .

٣ - ابراهيم فصيح الحيدري :

كان عالماً أديباً ومؤرخاً . ومن مؤلفاته في الفلك :

١) رسالة في تطبيق الهيئة الجديدة على بعض الآيات والأخبار . كتبها باللغة العربية وطبعت في المطبعة العامرة باستنبول في ٣٦ صفحة بالقطع الصغير سنة ١٢٩٢ هـ . كان كتبها باقتراح من أحمد جودة باشا وذكر فيها السلطان عبد العزيز ومدح أيامه . وكان ذكر في مقدمتها ولقد صدق في قوله : ان ما في القرآن من الآيات لم يكن نزولها على وجه التعليم لهيئة من الهيئات (القديمة والحديثة) . لأن ذلك بمعزل عن حكمة النزول من تبليغ الأحكام . هذا ما قاله ، والكتاب الكريم يعين عظمة السماوات والأفلاك والنجوم والشمس والقمر للاستدلال عليها بالقدرة الخالقة المبدعة ، وفي كل من الهيئتين تحصل

(١) الفيض الوارد ص ٢٥٨ مم العلم بأن الأستاذ الألوسي كتب كتابه هذا واتمه في المحرم سنة ١٢٤٥ هـ مما يدل على قدم اشتغاله قبل أن يتولى الافتاء .

الغاية ، والهيئة الجديدة أظهرت نظـام العظمة أكثر وبصرت بالقدرة التي لا نهاية لحدودها .

وتطرق الى مباحث عديدة من اعتراضات وأجوبة وتطبيقات وهذه لم تخرج عن نقل ما قيل في التفاسير وليس فيها ما يدعو الى المعرفة . وهي على صغرها لا تخلو من فائدة ومن بعض توجيهات .

٢) امعان الفكر في الهيئة الجديدة ، وهذا ألفه قبل سابقه وفيه بيَّن منشأ العلوم الحكمية وتفصيل المذاهب في الهيئة ، ونقل منه في رسالته الأولى بعض ما يتعلق بموضوعه ، ولم أر هذا الكتاب الا أنه نقل ما جاء من اعتراضات على الهيئة القديمة ولخصها ما هنالك ، والملحوظ انه نقل عن التحفة للقطب الشيرازي وسماه أبا اسحق الشيرازي غلطاً .

٣) شرح تشريح الأفلاك ، والأصل للبهاء العاملي ذكره في عنوان المجد بين مؤلفاته ، وسماه (فك الاشتباك في شرح تشريح الأفلاك) .

٤) امعان الألباب في الاسطرلاب ، وهذا أيضاً ورد ذكره في عنوان المجد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — حسين البشدري :

ويقال (بژدري) كما ينطق بها ، كان من مدرسي مدرسة الإمام الأعظم ولد سنة ١٢٢٦ هـ ، وهو ابن الملا عبد الله ابن الملا محمد الخضري ابن ملا خضر وهو من پشدر من قبيلة (نور الديني) . ولد في پشدر ، وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٣٢ هـ في الأعظمية من بغداد وهو صاحب شرح تهذيب الكلام .

وله من المؤلفات في الهيئة :

١ — شرح تشريح الأفلاك ، لم يطبع ، قرّضه أبو الثناء الآلوسي والسيد محمد أمين البرزنجي وتقاريضهما في حديقة الورود (ص ٦١٥ و ٦١٦) ، ولا يحاكيه شرح .

ونعته السيد نعمان خير الدين بقوله : من أفاضل أذكياء الأكراد وصلحائهم الواردين الى بغداد وتفصيل نعوته في الحديقة .. وأول الشرح : الحمد لله

الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ... ونسخته لدى أحفاده .

وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ .

٤ — جبرائيل يوحنا أصفر الكاثوليكي البغدادي ، وله :

١ — كتاب الأبحاث العليا في علم الفلك وهيئة الدنيا ، طبع بمطبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م .

٥ — غلام رسول الهندي .

كان عالماً في الفلك يدرس كتب الجادة فيه خبير تدريس ، يميل اليه الطلاب لمعرفته لا سيما شروح الملخص في الهيئة .

توفي سنة ١٣٣٠ هـ ودفن في الشيخ معروف بجانب الشيخ أحمد السويدي الأخير المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ .

٦ — الملا أبو بكر المدعو كوجك ملا الاربلي :

من العلماء الأفاضل في اربل وكان مدرساً في جامع القلعة وله مكانة علمية وأدبية . وله :

١ — الربع المجيب ، وسماه (الفوائد الحسنية) .

أوله : نحمدك يامن تزلزل عن ادراكه ادراك العقلاء ... الخ .

٧ — هبة الدين السيد محمد علي الشهرستاني :

من العلماء المجتهدين من رجال الشيعة . وله :

١ — الهيئة والاسلام ، طبع ببغداد سنة ١٩١٠ م ونقل الى اللغة الفارسية وطبع في ايران .

والمؤلف لا يزال من الأحياء ، ومن أهل العلم والفضل في ثقافات عديدة . وكان يصدر مجلة (العلم) .

ومن المشتغلين في الفلك والتقويم خاصة الأساتذة المرحومين (مصطفى امام الجيش) . وهو عم الأستاذ عبد العزيز ماجد عضو محكمة تمييز العراق و (محمد درويش) الكاتب الأول في محكمة شرعية بغداد سابقاً ، ولهما معرفة بتجددات العصر .

تكوّن الهيئة الجديدة في العراق

من حين تأسست المدارس العسكرية والاعدادية الملكية صارت تدرس الهيئة والرياضيات في مدارس الدولة ، وغالب من تمكن منها ضباط الجيش . نبغ منهم كثيرون ومنهم من تولى التدريس في العراق وفي استنبول . ومنهم من كان محباً للبحث والمعرفة ، ولا محل للاطالة بذكر أسمائهم .

تخرج هؤلاء من المدرسة الحربية وعرفوا بالرياضيات والفلك ، ومنهم من له آثار في الرياضيات مثل أمين فيضي ومحمود شوكة باشا .

٤ — علم الفلك في الدولة العثمانية

ظهر في الدولة العثمانية أكابر في الفلك ، اشتغلوا في رصد أولوغ بك مثل قاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چلبي ، وهؤلاء وأمثالهم أسسوا ثقافة في الفلك بعد أن كان غذاؤهم مؤلفات السلاجقة ، ومن جهة أخرى تمكنوا من تأليف أساطيل في البحر الأبيض المتوسط ، وفي البحر الأحمر (بحر القلزم) للاتصال بالمحيط الهندي ، فتقدم عندهم (علم البحار) كما تقدم (علم الهيئة) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من ثم مزجوا بين العلم والعمل ، وان الثقافة الفلكية المتصلة بالجغتاي (آل تيمور) كانت من أهم طرق المناصرة لهذا العلم فان أولوغ بك استخدم علماء الأناضول ، وكانوا متصلين بهذا العلم من أيام السلاجقة الروم ، وبذلك الاتصال تمكنوا من علم الفلك ، وبقي زيج أولوغ بك معروفاً عندهم ، ومؤلفات الجغميني ، وقاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چلبي متداولة بينهم ، وظهرت مؤلفات أخرى .

كل هذا كان معروفاً عندهم قبل أن يفتح العثمانيون بغداد سنة ٩٤١ هـ . وبعد الفتح عرفنا (بيري رئيس) و (سيدي علي رئيس) وجماعة من المتضلعين في (علم البحار) ، فاستقرت المعرفة . كانت الهيئة المتداولة معروفة ومنتقلة الينا

من أيام العباسيين والمغول والتركمان بتوسع قلَّ أو كثر ، والجديد فيها (علم البحار) وظاهرة أخرى أن الترك العثمانيين كتبوا بلغتهم مؤلفات الا انهم كالايرانيين لم ينقطعوا من العربية لسان العلم والثقافة بضروبها ، جرى ذلك بأمل المعرفة والاتقان .

وعندنا شاعت بعض المؤلفات التركية المكتوبة باللغة العربية مثل (ملخص الهيئة) للجغميني ، وشرح قاضي زاده ، وشرح السيد الشريف علي الجرجاني ، وعلي القوشجي ، وصارت تدرس عندنا فاكتسبت رواجاً واستقرت في (كتب الجادة) ، وأعتقد ان هذا الانتشار كان من أيام أولوغ بك فمن بعده كما تداولت الثقافة بعض ما كتب أيام المغول ...

ويهمنا الاتصال بعلم البحار ، وهو علم جديد انتشر لدى العثمانيين . وهذا اتصل بثقافة العرب في سواحل خليج فارس والبحر المحيط الهندي ، وما يتصل بها كالبحر الأحمر .

وهذه علاقة حيائية أكثر من العناية بأمر الطالع وما فيه من سعد ونحس ، ولم نر اهمالاً لهذه الجهة أيضاً بل لم تترك في وقت ... والعلوم تجددت بما حصل من انتباه ، وما زاد من عناية ، والترك العثمانيون لم يقصروا في المعرفة ، وكان انتباههم الى مؤلفات العرب في علم البحار كان قبل أن ينتبه الغرب اليها . وبواسطة الترك نقلت الى الألمانية نقلها الأستاذ همر بترجمة كتاب (محيط) لسيدي علي رئيس ، وأعلنت هذه الترجمة عن ثقافة العرب واهتمام الترك بها ، وعرفت العلاقة بهذه العلوم .

ويهمنا أن نقول ان علم الفلك بعد سيدي علي رئيس لم يتقدم بل اصابه الخمول الذي عمَّ الشرق بسبب الحروب الطاحنة المتواليه بين أهليه ، ومن ثم اقتصر على المؤلفات السابقة وحدها ، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نعدَّ فلكياً معروفاً وان كان لقب (منجم باشي) أي رئيس المنجمين الأول والثاني مشهوداً وموجوداً في تشكيلات الثقافة الفلكيه للدولة .

ولا ننس الموقتين في بعض الجوامع ، فقد ظهر بينهم أكابر . والمطلوب الانتاج ، وهذا لم نره الا قليلاً ، لا سيما في تاريخ هذا العلم ، كان تقدم هذا العلم والفضل في تكامله الى الرصدات وتحقيقاتها ، والانقان الذي صحح أزياجها ، فالفرق لا يظهر في مطالع النجوم الا في عصر أو أكثر ليعلم التفاوت .

ولا شك أن المثابرة على التدريس وحده للمعرفة الفلكية ولد جموداً ، واقتصر فيه على ايضاح بعض الكتب المدرسية ، ولا تخلو من تأثر بكتب الدرس القديمة مثل ملخص الجغميني وشروحه وحواشيه الا اننا نشاهد (كتب البهاء العاملي) صارت تحتل مكانة ، بالرغم من المقارعات الحربية . وفي كل هذا العهد لم نشاهد تجدداً في علم الفلك ، وبقيت القدرة العلمية مقصورة على التدريس .

وعلماء الفلك في هذا العهد انحطت مداركهم أو احتفظوا بالموجود أو بالمعرفة السابقة ، ولم نر فيهم ما بلغت الأنظار ، ومؤلفاتهم في العربية مرة وفي التركية أخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دامت الحالة في الفلك على ما كانت عليه الى أيام تأسيس (المهندسخانه) وهي كلية مهمة في الهندسة خدمت العلوم الرياضية والفلك الا أن الاشتغال مشى باطراده ، تغذيه المؤلفات السابقة وهي ثروة ثقافية عظيمة ، وأكبر عمل في هذا العهد ان التفت العثمانيون الى ثقافة الأمم ، فنقلوا (الأزياج) من الغرب ، ورعوا ما كان معروفاً عندهم والملحوظ أن السلطان سليماً الثالث قدم الى المهندسخانة البرية أجل اسطرلاب قديم بقطر ٨٦ ملياً وفيه خمسة ألواح وخطوط كونية . قال الأستاذ صالح زكي ان الاسطرلاب لم يتقدم بعد الألف عند العثمانيين وغيرهم ولم ينل الانقان المألوف عند قدمائنا ، وعدّ جملة من هذه الاسطرلابات [1]

(١) قاموس الرياضيات ص ٣٠٩ .

نقل الأزياج الغربية

كان هولاكو قد جمع ثلة من العلماء برئاسة الخواجة الطوسي فتمّ بناء الرصد في مراغة، وعمل الزيج الايلخاني، وجرى العمل به مدة فتبين النقص فيه، فقام أولوغ بك بعمل الرصد في سمرقند، ورتب الزيج الأولوغ بكي، وهذا دام العمل به مدة وجرى فيه اصلاح، ثم توجه نقد عليه من علماء عديدين الا انه لم يعمل رصد لتحقيق التفاوت والتثبت من صحة الزيج بسبب اهمال الأرصاد ومرور زمان طويل عليه أكثر من المدة التي مضت على الزيج الايلخاني، والتفاوت لا يظهر سريعاً من جراء انه يحتاج الى الحساب ولا يتبين ذلك بالنظر للآلات الموجودة آنئذ. وانما يتحقق بمرور قرن أو أكثر.

لم يهدأ الاشتغال في الفلك الا أنه تحول الى مواطن الرغبة، فان الغرب بذل الأموال العظيمة لبناء أرصاد، كان أسس رصد باريس سنة ١٦٦٧ م — ١٠٧٧ هـ أيام الملك لويس الرابع عشر. وكان كاسيني (جان دومينيك كاسيني) مديره الأول، وصار الزيج الكاسيني هو المعتبر. وتوفي كاسيني سنة ١٧١٢ م ثم خلفه ابنه جاك (١٦٧٧ م — ١٧٥٦ م). ثم جاء لالاند (١٧٣٢م — ١٨٠٧م) فصحح (الزيج الكاسيني)، وأما رصد لندن في غرينويج فقد أسس سنة ١٦٧٥ م أيام الملك شارلس الثاني، والغربيون تعاونوا على تحقيق الأزياج. وفي أميركة شاع الرصد أيضاً، وزادت العناية به كثيراً.

والعثمانيون رعوا علم الفلك، وان اسماعيل الجناري من رجال القرن الثاني عشر ومن أكابر الفلكيين، نقل الزيج الكاسيني الى التركيـة باسم (تحفة بهيج رصيني ترجمه زيج قاسيني).

وهذا يحتاج الى توضيح، وذلك أن السلطان أحمد الثالث في أواخر سنة ١١٣٢ هـ أرسل الى لويس الخامس عشر يكرمي سكز چلبي وهو محمد افندي بسفارة، وطبعت سفارته مؤخراً، وكان هذا الفاضل ذهب الى رصد باريس.

ورصد الأجرام السماوية في النظارة المقربة (التلسكوب) ، وكان مدير الرصد آنئذ جان كاسيني ، فبحث معه حول الأزياج في الدولة العثمانية وحول علم الهيئة . فقدم جان كاسيني نسخة من زيج والده دومينك كاسيني ولم يطبع بعد قدمها هدية الى محمد أفندي ؛ ومن ثم دخل هذا الزيج الجديد البلاد العثمانية .

ثم ان السلطان مصطفى خان الثالث أمر بنقله من الفرنسية الى التركية ، فكان ذلك نصيب اسماعيل الجناري ، ويقال له (خلفه زاده) نقله الى التركية امتثالاً لأمر السلطان سنة ١١٨٤ هـ فقام هذا الزيج مقام زيج أولوغ بك ، ونقل جداول اللوغاريتم فألحقها به ، لحلت محل الحسابات الفلكية السنينية ، وسمي جداول اللوغاريتمة بـ (الجداول النسبية) ، فكان ذلك أول نقل للزيج الغربي واللوغاريتم ، ومن هذا الزيج المترجم نسخة بخط مترجمه مؤرخة في سنة ١١٨٦ هـ وصلت شراء من تركة ميرزاده قويم الى ولي الدين افندي وصارت الى الأستاذ صالح زكي الرياضي المعروف ، ولا ندري مصيرها .

ومما عرف ان مؤرخ الرياضيات مونتوكلا قد ذكر سنة ١١٨٠ هـ من الجلد الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن السلطان مصطفى الثالث طلب من البارون طوت Tott من المجمع الفرنسي ارسال بعض الكتب الرياضية ، فأرسل اليه بعض الكتب ومنها (زيج لالاند) كما صرحت بذلك سجلات المجمع ، وكان من بين الكتب المرسلة لوغاريتم . وفي تاريخ واصف طلب بعض الكتب من فاس في الاختيار بأن تجمع له من المغرب أي للسلطان المشار اليه ، هذا ما أمكن تلخيصه من قاموس الرياضيات .

ومن الزيج القسيني باللغة العربية جاء ما نصه : الزيج القسيني المعتبر نبغ في عصرنا نزهة زمانه وفريد دهره (كذا) وهو الرصد الجديد المرصود في مدينة باريس كرسي المملكة الفرنساوية ، وقد اقتطف بعض الفقهاء من أصل نسخة كتابه الكبير فقط صنفه تقويم النيرين والخمسة كواكب المتحيرة وعمل الاجتماع والاستقبال وترجم من الفرنساوية الى التركية في مدينة القسطنطينية السلطانية وحول الرصد

اليها وفي أغستوس سنة ١٢٦٠؛ ترجم ذلك الى اللغة العربية في مدينة حلب الشهباء وقد وصفنا تحويل ذلك الزيج الى حلب تحت جداول استخراج التواريخ .

ولم يتعين ناقله الى العربية ، وهذا موجود في الخزانة الظاهرية برقم ٤٣ فلك ، وبعد ذلك تمكن هذا العلم في بيروت في الكلية الأمركية على يد كرينليوس فانديك في كتابه قبة السماء ، وأصول الهيئة وغيرها من مؤلفات ظهرت ...

ثم جاء حسين حسني مؤمن زاده من مشاهير الرياضيين فنقل الى التركية (زيج لالاند) ، وكان هذا أيضاً من مشاهير الرياضيين ، ومن ثم تعينت العلاقة ، وتبينت ماهية الاشتغال نوعاً ، وهذا الزيج الأخير كتبه مؤلفه باللغة التركية ، وعندي نسخة مخطوطة منه . أوله : حمداً نجيم شمار ... قال في مقدمته : ان الأعمال الحسابية والأمور العقلية تزداد كمالاً وتقدماً يوماً فيوماً فتصل الى أوج الكمال ، وان مطالع الصنائع البديعة لا تزال تصل الى نهاية من التحقيق وتتكامل الى غاية عظيمة من الاتقان ، وان الزيج الشهير المأخوذ أيام (أولوغ بك) كان من أتم ما وصل اليه المتقدمون ، فاشتهر فهو أكمل من غيره ولكنه لا يخلو من نقض في آلاته الرصدية ، فكان قد ظهر عليه النقص ، وبدا الاهمال ، فتبين الخطأ في زيجه بعد حين وظهر الخلل في ضبطه ذات (زيج قسيني) أزاح الستار عن فرق عظيم فيه ، وتبين جلاء ، ظهور فروق نحو ساعتين من الزمن عندما نقيس دخول الشمس في نقطة الحمل ، وهكذا في الكسوف والخسوف ، فترى التفاوت بنحو ساعتين بين حلوله وتاريخ ضبطه ، وهذا مشاهد رأي العين . فقطع أرباب هذا العلم ببطلانه . فكان (زيج قسيني) مرجحاً عليه من كل وجه .

وهذا الزيج بمرور الأزمان عاد غير متقن من كل وجه ، فجاء لالاند الراصد الفرنسي الشهير بالفلك في باريس فبيّن خطأه ، وأوضح تخلفه الجزئي ، فاستبان عياناً ، فعدل فيه سنة ١٨٠٠م — ١٢١٤هـ (١) . فثبّت التخلفات الرصدية ،

---

(١) وهذا التاريخ لا يتفق مع تاريخ اعطاء نسخة منه الى الدولة العثمانية سنة ١١٨٠ هـ فالتفاوت ٣٤ سنة .

واتخذ مركز قرص الشمس أصلاً ، فصار الضبط أكمل ، وعدّ هذه التخلفات بالمائة السنوية (تخلف صدساله) فوضع ضبطاً لهذه التخلفات عن كل مائة سنة وصح أن تسمى بالتخلفات بالرصدية ، وبذلك تمكنت التدقيقات العلمية من تعديل التقاويم الفلكية فكانت أقرب الى الصحة ، وصار بعدّ هذا الزيج (بالزيج الخالد) الذي لا يطرأ عليه خلل ولا يحتمل التخلف فيه ولا في المطالع . ولا ينكر الاتقان ، ولا التخلف الجزئي في كل حالاته ، فهو عرضة للاصلاح دوماً ، ولا شك ان اتقان الآلات مما مكن من اتقان للرصد ، ومن ثم اتقان الأزياج .

وهذا الزيج نقله الى التركية وبدّل أرقامه الى أرقام اسلامية ، وبذلك وبعد انتهائه قدمه الى السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد[1] . ونعت نفسه حين تقديمه بحسين حسني المنجم الثاني ، فكتب هذا الزيج الجديد ونقله الى اللغة التركية ، واتخذ عاصمة الفرنسيين باريس مبدأ خط نصف النهار وقسمه الى ستة أبواب[2] ...

هذا ما جاء ملخصاً من الزيج نفسه ، وفيه بيان تاريخ الزيج عند العثمانيين . والملحوظ أن صاحب (عثمانلي مؤلفلري) بين ان المؤلف من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول ، نعدّه من رياضيي ذلك الزمن ، وذكر له من المؤلفات (مرآة القلوب) ، ومنه نسخة في خزانة تكية يحيى أفندي في بشكطاش . وقال انه من أهل استنبول ، ومن موظفي المالية ، نقل (زيج لالاند) الى التركية ووسعه فجعله في ستة أبواب[3] وأعتقد ان المؤلف لم يكن من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول فقد جاء أنه كتبه أيام السلطان عبد المجيد وصوابه السلطان محمود ونقد (زيج قاسيني) ، وبين تاريخ سنة ١٨٠٠ م زمن

---

(١) ورد ان السلطان عبد المجيد بن السلطان عبد الحميد . وهذا ليس بصواب . فقد ذكر السلطان عبد المجيد بدل السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد سهواً كما يظهر.

(٢) ملخص ما في مقدمة الزيج المذكور .

(٣) عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ٢٦٠ .

تعديل الزيج القاسيني من لالاند [١] . فجاء مكملاً لما قام به من كان قبله من رجال العثمانيين .

ويؤيد ذلك الرجوع الى ترجمة (اسماعيل الجناري) المعروف بـ (خليفه زاده) ، ومن أوائل أيامه صار مظهر توجه السلطان مصطفى الثالث ، وصار موقتاً في جامع (لالەلي) ، وهذا الفاضل كان أمره السلطان مصطفى أن يترجم (زيج قاسيني) فنقله الى التركية بتوسع في ١٤ فصلاً وسماه (تحفهٔ بهيج رصيني ترجمة زيج قاسيني) . وحسين حسني أول من نقل (زيج لالاند) ووضعه في موضع العمل ، وترجم المجلد الأول من كتاب (استرونومي دولالاند) أي هيئة لالاند . وهو في ثلاث مجلدات نقل الأول منه وسماه (زيج لالاند) ، ونقل أرقامه الى حروف أبجدية ، ومنه نسخة لدى أحمد ضيا ، قال ذلك صاحب (عثمانلي مؤلفلري) ، وجاءت ترجمته موسعة في (قاموس الرياضيات) للأستاذ صالح زكي من رياضيي الدولة العثمانية .

وهذا ما يجعلنا نميل الى أن حسين حسني (مؤمن زاده) هو الذي قام بما قام به من ترجمة الزيج المعروف باسمه أعني (زيج حسين حسني) بالوجه المبين . وان (زيج لالاند) هو المترجم من حسين حسني نفسه وكان الى سنة ١٢٣٦ هـ . وجاء ابراهيم بك (طوارق باشا زاده) فشرح زيج قاسيني وذيل عليه من سنة ١٢٣٧ هـ الى سنة ١٢٤٠ هـ باسم (تسهيل زيج قاسيني) ، ونقل فن (المثلثات) من الافرنسية ، وله (رسالة في الارتفاع) رتبها على ستة أبواب ، وكان منجم باشي (رئيس المنجمين) في الدولة العثمانية ، توفي سنة ١٢٤٦ هـ ، وترجمته في عثمانلي مؤلفلري .

وهنا لا نمض دون الاشارة الى أن (زيج حسين حسني) جاء بعد (تحفهٔ بهيج رصيني) وجاء التسهيل ذيلاً عليه . والنسخة الموجودة عندي من زيج

(١) في هذا التاريخ ما يخالف تاريخ سنة ١٨٠١ هـ الذي تقدم فيها زيج لالاند أو أنه اكتسب الشكل الأكمل سنة ١٨٠٠ م . فليتحقق ؟!

حسين حسني تداولتها الأيدي في بغداد ملكها محمد افندي الخشالي ، ثم محمد درويش أفندي الكاتب الأول للمحكمة الشرعية الأسبق ، وكان رحمه الله تعالى فاضلاً في التقويم .

هذا وكان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا (الخواجة اسحق أفندي) وكان موفقاً في وضع المصطلحات العلمية وتعيينها وبعد رئيس الناقلين من اللغات الأجنبية وإمامهم ، وكان باش خواجه في المهندسخانة البرية أي رئيس الأساتذة . وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ[1] . والفضل لمؤسسة المهندسخانة المذكورة ، فانها مكنت العلوم الرياضية في المملكة ، وظهرت مؤلفات جمة في هذه العلوم ، وحصل تجدد عظيم فيها ، ولم يبق القوم على الكتب القديمة ، وانما انصرفوا الى معرفة ما تجدد منها ، والعلوم يجلوها الاشتغال . ومن المهم الاشارة الى أن العلوم العملية للحرب وما ماثل تستند الى هذه ، ووضعت فيها مؤلفات عديدة كما أن العلوم التجربة الحربية تستند الى عين المستند .

ARCHIVE

والى تاريخ تكوين المهندسخانة كانت العلاقة بالعلوم العربية في الهيئة كبيرة ، وكانت الترجمة من هذه اللغة مستمرة ، وأصل الدراسة باللغة العربية نفسها مشهودة الا أن الوجهة تغيرت بتأسيس هذه المدرسة ، وان بغداد لم تقصر في علوم الأوائل ، كما أن الرغبة العلمية جعلت العراقيين يميلون الى هذه المؤلفات الحديثة ، فتحولت العلوم الى مواطن الرغبة ، وكان الترك العثمانيون قد مالوا الى الأخذ من هذه العلوم من أهلها . وكانوا على علم من الفلك القديم وسائر العلوم الرياضية ، ونعم ما فعلوا ، ولا نزال نرى النقص ، ولم تتكامل المعرفة في الشرق كله ...

وهؤلاء أشهر من عرفوا :

١ — اسماعيل الجناري :

كان في أيام السلطان مصطفى الثالث (١٦ صفر سنة ١٢٧٢ هـ — ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ) ويعد من أكمل المنجمين ، وله من المؤلفات :

(١) ترجمته ومؤلفاته في عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

١) تحفة بهيج رصيني ترجمة زيج قاسبني ، ويعرف بزيج قاسبني ، وسماه صالح زكي بـ (زيج لالاند) وليس بصواب ، فان (زيج لالاند) يأتي ، وهو غيره .

٢) رسالة في تأخر الغروب عن الوقت المستخرج بالمواقيت المستعملة في أيدي الناس .

توفي بعد سنة ١٢٠٣ هـ .

٢ — اسماعيل الكلنبوي :

جاءت ترجمته في قاموس الرياضيات بصورة مفصلة (ص ٣١٨ ج ١) ، كان من رياضي الدولة العثمانية المشاهير ، ولد سنة ١١٤٣ هـ في كلنبه وعرف بالنسبة اليها ، وأصل اسمه اسماعيل ، وهو من بيت علم ، ولي التدريس سنة ١١٧٧ هـ وكان قد نال قبولاً من السلطان سليم الثالث فأنعم عليه مولوية بكيشهر سنة ١٢٠٤ هـ ، وبعدُّ خاتمة العلماء في الرياضيات القديمة ، وفي أيام السلطان عبد الحميد الأول وصدارة خليل باشا دخل في المهندسخانة البحرية بصفة مدرس للرياضيات .

ومن مؤلفاته :

١) كتاب الجبر .

٢) شرح اللوغاريتمة ، شرح به رسالة كانت متداولة .

٣) رسالة في المثلثات .

٤) كتاب المراصد .

وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ [1] .

٣ — سليمان مقامي :

كان كاتب الديوان ، وتوفي سنة ١٢١٠ هـ . وله من المؤلفات :

١) زيج قاسيني ، حوّل فيه سنيه الميلادية الى هجرية ، ونقل طول باريس

(١) تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ص ٣١٨ — ٣٢١ .

الى طول استنبول وسماه (زيج جديد خلاصة غرا) .

٢) مرآة السماء ، تركي .

٣) رسالة الارتفاع .

٤ – السيد مصطفى بن أبي بكر :

كان ماهراً في الرياضيات مهارةً كبيرة ، وهو ممن دخل كلية الهندسة أيام السلطان سليم الثالث ، وهو خطّاط أيضاً ، ولا يزال حياً في سنة ١٢١٠هـ .

وله من المؤلفات :

١) فن الحرب ، كتبه باللغة الفرنسية .

٥ – حسين حسني : من رجال الفلك المعروفين . وله :

١) الزيج المسمى باسمه (زيج حسين حسني) ، نقد الأزياج السابقة . ومنها زيج أولوغ بك وزيج قاسيني ومدح (زيج لالاند) ونقله الى التركيـة . ثم كتب زيجه ، وعندي نسخة منه .

ويعد المترجم من الفلكيين الأكابر ، لم ينقطع عن المعرفة والاتصال بالحركة العلمية في الفلك فراعى اطراد التجدد فيه .

٦ – ابراهيم بك طوراق باشا زاده . من الفلكيين وله :

١) رسالة في المثلثات نقلها من الفرنسية الى اللغة التركية .

٢) الذيل والشرح على الزيج القاسيني كان قد ذيل عليه من سنة ١٢٣٧هـ الى سنة ١٢٤٠هـ .

٣) رسالة الارتفاع .

وفي أيامه كان رئيس المنجمين ، توفي سنة ١٢٤٨هـ – ١٨٣٢م .

٧ – خواجه اسحق :

كان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا ، وعين المصطلحات ، فوجد لها مقابلاً . وله معرفة بعدة لغات ، فهو إمام من نقل ورئيس من ترجم . فهو مجدد علوم الفلك والرسم والتخطيط ... وله من المؤلفات :

١) مجموعة العلوم الرياضية ، طبعت وفي ضمنها الفلك ٠

٢) عكس المرايا في أخذ الزوايا ، يبحث في أصول استعمال آلات الرصد مثل أوقتانت ، وسكتاند ٠

٣) رسالة الكرة ٠

٤) أصول استعمال آلة أوقتانت ٠

توفي سنة ١٢٥٠ هـ — ١٨٣٤ م [1] ٠

وهكذا توالى الاشتغال في الفلك والرياضيات حتى ظهر مثل الأستاذ صالح زكي ، وكان يعدّ من نوابغ هذا الفن ، فخدم العلوم الفلكية والرياضية الجديدة وتوفي في ٢ تموز سنة ١٣٣٧ رومية وفي المدارس الحربية ودار الفنون الملكي (الجامعة) قويت العلوم الجديدة في الفلك والرياضيات ، ومن آخر من ظهر في هذه العلوم أحمد مختار باشا الغازي ، وله مؤلفات مهمة كرياض المختار وذيله ، واصلاح التقويم ، وتقويم السنين ، والتقويم المالي ، وتوفي سنة ١٣٣٧ هـ ٠ وهناك أفاضل كثيرون ، منهم أخذ العراقيون في الحربية في الأغلب ، والى مؤلفاتهم توجهت الوجهة دون غيرها ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت ثقافة الترك في الفلك موجهة الى الاستقاء من كتب الايرانيين وكتب العرب ، وظهرت لهم آراء خاصة في الفلك وفي التجربة ، والاتصال بثقافتنا بواسطة ملاحي العرب الا أنها جاءتهم من جراء الاصطدام بالبرتغال ، وكان الاشتغال في الكتب المتداولة وفي زيج أولوغ بك ، حققوا فيه ، وأخذوا بأحكامه مع مراعاة اشتغالات العرب ، والصلة غير منقطعة ، ثم عادت الى التوجّه الى ايران ودرس كتاب البهاء العاملي وفي أواخر القرن الثاني عشر وما بعده مالوا الى تكامل العلم في الغرب ، فكانوا من أقدم الأمم الشرقية في الأخذ منهم في الفلك والرياضيات لما أسسوا من أرصاد ، وأتقنوها بتقريب العلماء في

(١) جاء تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ج ١ ص ٣٠١ ٠

الفلك الا أنهم لم يهملوا المعرفة السابقة الا في النواحي التي قبلت الاصلاح . جمعوا بين الثقافتين وما عدّل فيها من تصحيحات ومعلومات جديدة . وهكذا توالى الأخذ الى درجة أخذّوا بها في المصطلح لعدم التوفيق بين الماضي والحاضر .

كان النهج واحداً ، ولا يزال الا في وضع آلات جديدة لزيادة الاتقان . وهذا التجدد لا يدعو الى اهمال المصطلح ، أو ان يؤدي الى الاخذ بمصطلحات الغرب ... ولا سبب لذلك الا الانقطاع عن الثقافة العلمية السابقة أو الجهل بالمعرفة التاريخية [1] .

(يتبع) عباس العزاوي

(١) من أهم المراجع للتوسع كتاب (عثمانلي مؤلفلري) ج ٣ وقاموس الرياضيات والآثار الباقية ، وهما للاستاذ صالح زكي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٧ —

القرن الثامن

من أشهر من تكلم في إعجاز القرآن في القرن الثامن الزملكاني في كتابه التبيان في إعجاز القرآن ، والخطيب القزويني صاحب كتاب التلخيص لمفتاح السكاكي ويحيى بن حمزة العلوي وهما من علماء البلاغة ، والأصبهاني والشاطبي وهما مفسران ، والزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . وسأخصّ كلاً منهم بكلمة .

١ — الزملكاني :

يؤلف الزملكاني (٧٢٧) كتابه التبيان في الاعجاز ويذكر خلاصة رأيه السيوطي (الاتقان ج ٢ فصل الإعجاز) فيقول : « وجه الإعجاز راجع الى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة وعلة ومركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى » .

فلا يخرج به عن نظرية النظم ولكنه يجمل هذا النظم في جودة كل من اللفظ والمعنى وفي ائتلافهما وليس هذا بجديد ، هذا وقد اعتمد عبد العليم الهندي على كشف الظنون فيما يظهر فجعل وفاة الزملكاني سنة ٦٥١ هـ .

٢ — الخطيب القزويني :

يؤلف الخطيب القزويني (٧٣٩) كتابه التلخيص — لمفتاح السكاكي — فلا يتكلم على الاعجاز بشيء إلا أنه يذكر في مقدمته أن علم البلاغة وتوابعها

من أجل العلوم قدراً وأدقها سراً إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها فيظهرنا على أن المؤلفين في البلاغة على الغالب ينظرون الى علوم البلاغة على أنها واسطة لمعرفة إعجاز القرآن فهو يقرر ضمناً أن إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته لا في شيء آخر .

٣ — يحيى بن حمزة العلوي :

ويؤلف يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩) كتاب الطراز في البلاغة ويعقد فيه فصلاً مطولاً في الجزء الثالث منه للإعجاز يتبع فيه طريقة الجدل والكلام فيذكر أقوال غيره ويناقشها واحداً واحداً ليردها ثم يقدم رأيه الخاص وأول ما يطالعنا في كتابه الخاص أنه يعرف البلاغة فيقصر الغرض منها على معرفة أحوال الإعجاز فيقول :

« هي علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل الى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه » .

وفي الفصل الذي عقده للإعجاز يذكر أن فصاحة القرآن وبلاغته تظهران عنده بمقياسين الأول أن يقاس ما في القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغة التي قررها وهنا نلاحظ نحن أن هذه القواعد مستمدة من القرآن فكأنه حينئذ يقيسها إنما يطابق الشيء مع نفسه ، والثاني أن يقاس بأقوال البلغاء . فيظهر فضله في الحالين . ثم يأتي من القرآن بآيات تتعلق ببحوث الفصاحة والبلاغة ويبين أنها جاءت منها في المرتبة العليا وذلك تطبيق على مقياسه الأول للإعجاز .

ثم يذكر أن الكلام في الإعجاز أول المباحث الكلامية والأسرار الإلهية لأنه دليل النبوة ويذكر تقصير من سبقه في بيان أسرار الإعجاز ووقوفهم عند الكلام على مخارج الكلم ، بعضهم لتقصيره في الكلام والإلهيات وهم الأكثرون

كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان - أي الزملكاني - وبعضهم كانت له اليد الطولى كابن الخطيب الرازي الذي لم يأت في كتابه بما ينقع الغلة .

وهنا نراه يتهم المؤلفين قبله بالتقصير فيبالغ لأنهم لم يقفوا كلهم عند مخارج الكلم وسنرى أنه لم يأت بجديد يستحق الذكر وإنما كان جامعاً لما كتبه غيره مستقصياً في الجمع لا أكثر ثم يقول إن الدليل عنده على الإعجاز شيئان :

١ – تحدي النبي للعرب بأن يأتوا بمثله وعجزهم عن ذلك .

٢ – ما اشتمل عليه القرآن من الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني – بالاضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر وفي الأوامر والنواهي وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه علوم القرآن فإنها مسوقة على أبلغ سياق – والخاصة الثالثة جودة النظم وحسن السياق .

ويطيل الكلام في التحدي (الطراز ج ٣ ، ص ٣٧٠) فيذكر أن الله نزلهم فيه على ثلاث مراتب وأنه تدرج فيه من الأكثر الى الأقل – من القرآن ، الى عشر سور ، الى سورة – ويذكر حالهم مع النبي حين هذا التحدي وجوابهم عليه ثم يورد ما يوجهه الملاحدة من الطعن على فكرة إعجاز القرآن ويورد لهم عدة اعتراضات في صور أسئلة تنوّق في وضعها وتكلف عناء الاجابة عليها ، والغرض منها إنكار التحدي لأنه عمدة الإعجاز وتتلخص فيما يلي :

١ – ليس القرآن كله بتفاصيله متواتراً بل المتواتر هو القرآن ككل لأن ابن مسعود أنكر الفاتحة والمعوذتين وحصل خلاف بين الصحابة في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأثبت أبيّ بن كعب آية القنوت (اللهم اهدني فيمن هديت الخ) في القرآن ولما كانت آيات التحدي من جملة التفاصيل فلهذا لا يحكم ثبوتها في المصحف فلا يكون فيها دلالة . وهو يرد على هذا بأن القرآن متواتر التفاصيل لأن الأولين كانوا أحرص منا على حفظ القرآن أو هم مثلنا على الأقل فما ادّعاه بعض الصحابة من أن في القرآن زيادة أو نقصاً هو إما خبر آحاد لا يعتدّ به لأنه يشترط في مثله التواتر وإما أنه وحي ولكنه ليس بقرآن .

٢ — ليس المقصود من آيات التحدي أن تكون دليل صدق النبوة بل هي من نوع تحدي الخطباء أثناء خطبهم لمن يخالفهم فهو ضرب من المبالغة والادّعاء والافتخار ·

ويرد على ذلك بأن النبي قد بلغهم هذا التحدي وكان يقارعهم بالقرآن وكانوا يعرفون المقصود منه ·

٣ — لم يصل التحدي الى كل العالم وعجز بعض الناس لا يدل على عجزهم جميعاً ولا يدل على صدقه · ويرد على هذا بأن العرب اذا عجزوا فغيرهم أعجز وإن لم يصل الى جميع الخلق سابقاً فقد وصل اليهم الآن ولم يقدر على معارضته أحد ·

٤ — هب أن التحدي قد بلغ الخلق كافة فهم عدلوا عن معارضته لأن المعارضة لا تجدي في حسم الخلاف فعدلوا عنها الى الحرب وإنهم لو عارضوه لاحتاج الأمر الى التحكيم وبكون ذلك مدعاة لنزاع طويل يكسب به محمد الوقت فتشتد شوكته فعدلوا الى الحرب ثم إنهم ربما عدلوا عن المعارضة لأنهم لم يدركوا حقيقة المماثلة هل تكون بالفصاحة أو البلاغة أو النظم أو .... (يعدد هنا كل ما ذكر من آراء في وجوه الإعجاز تقريباً ...)

وأجاب على هذا بأن ردّهم على التحدي بالقول أسلم لهم لأنهم كذلك ليسوا على ثقة من ربح الحرب وأنه ليس الغرض حصول المماثلة من كل الوجوه بل الإتيان بما يظن كونه مماثلاً ، ثم لو اشتبه عليهم معنى المماثلة لسألوا النبي عنها ولكن الأمر معلوم لهم ثم يقول : والنبي أطلق التحدي ولم يعينه بشيء دون شيء اتكالاً منه على ما يعلم من ذلك بمجرد العادة واطرادها في التحدي بين الشعراء والخطباء فلم يكن محتاجاً الى تفسير المقصود — وهنا نرى ردّه قوياً معقولاً لأن العرف يعين المقصود من المماثلة — ·

٥ — ربما كان المانع لهم من المعارضة اشتغالهم بالحروب العظيمة أو خوفهم من رسول الله وأنصاره · وردّ على ذلك بأن المعارضة كلام لا يشغل عن الحرب

وقد قالوا الأشعار والخطب والحرب دائرة ثم لِمَ لَمْ يعارضوا القرآن زمن السلم ثم كان يمكن الفصحاء أو من هم في معزل عن الحرب أن يعارضوه .

٦ً — كانت الدواعي متوفرة للمعارضة وتأخرهم عنها لا يدل على أنهم عاجزون لأنه لا يلزم وقوعها فعلاً ، وردَّ على ذلك بأن توفر أسباب المعارضة يوجب عليهم القيام بها وحيث أنهم لم يفعلوا دلَّ ذلك على عجزهم عنها .

٧ً — وما يدرينا أن المعارضة لم تقع وما البرهان على ذلك ؟ وأجاب على هذا بأن هذا الأمر العظيم لو وقع لما خفي ولاشتهرت المعارضة أكثر من القرآن الذي يصير حينئذ كالشبهة وتصير هي كالحجة ويحفظها الملاحدة والمخالفون للاسلام لما فيها من إبطال أمر النبي .

٨ً — قد وقعت المعارضة فعلاً واشتهرت كهذه قصائد العرب السبع وكلام مسيلمة وأخبار الفرس وملوك العجم للنضر بن الحارث ومعارضة ابن المقفع وقابوس بن وشمكير والمعري فكيف تنكر ؟ وردَّ على هذا بأن كل هذه المعارضات لا تقارب القرآن ولا يصح أن تقارن به لضعفها .

ARCHIVE

٩ً — ربما كان المانع لهم من المعارضة عدم معرفتهم بما يتكلم به القرآن من أخبار البعث والنشور والملائكة والسماء الخ مما لا دخل لأفهامهم في نقله وإتقانه وردَّ على ذلك بأن اليهود كانوا بين أظهرهم يستطيعون تعليمهم إياها ثم إن اليهود أنفسهم كان فيهم فصحاء .

وهذه الأسئلة ليست ذات قيمة كبيرة — فيما أرى — وإنما ذكرتها لأبين ألوان المناقشة والجدل في هذا الموضوع الذي كثيراً ما تناقش فيه البديهيات على غير طائل كمناقشته هنا هل حصل التحدي أو لم يحصل وهل فهموا منه معنى المماثلة أو لا ثم لا أدري إذا كانت هذه الأسئلة كان يضعها الملحدون والمخالفون حقيقة أو إنها كانت من وضع المؤلف أو غيره من العلماء ليردّوا عليها ويبينوا قدرتهم في الجدل .

ويحاول صاحب الطراز بعد ذلك إثبات أن القرآن معجز بالطريقة الجدلية الآتية : إما أن يكون الإتيان بمثل كل واحدة من السور معتاداً أو غير معتاد فإن كان معتاداً كان سكوت العرب عن الإتيان بمثلها دليل إعجازه وإن كان غير معتاد كان القرآن لخروجه عن المألوف والمعتاد معجزاً فالقرآن معجز سواء أكان خارقاً للعادة أم لم يكن .

وهنا يبدو لنا صاحب الطراز مناصراً لرأي الصرفة إلى جانب الرأي بخرق القرآن للعادة دون أن يبين سبب خرقه للعادة بيد أنه لا يجوز الاعتماد على هذا القول لأن هذا الدليل جدلي ولا يقنع أحداً أن يقول إما أن يكون معتاداً أو غير معتاد وكان عليه أن يسعى لتقرير الحقيقة وإثباتها علمياً فهل وقع التحدي والعجز أو لا أولاً ، ثم هل للقرآن مميزات واضحة على غيره من الكلام أو ليس له ذلك ثانياً ، بدلاً من اللجوء الى مثل هذه الحجة المطاطة .

ثم يعرض لأقوال السابقين في الإعجاز فينقضها واحداً واحداً وها هي هذه الأقوال وردوده عليها .

١ — يبين مذهب الصرفة ويذكر أن النظام وأبا إسحاق النصيبي من المعتزلة قالا به واختاره الشريف المرتضى من الإمامية ويذكر له تفسيرات ثلاثة : تفسيراً يطابق رأي النظام ، وتفسيراً يؤيد رأي المرتضى ، وتفسيراً ثالثاً لا أدري من أين أتى به وهو أن الله منعهم على جهة القسر من المعارضة مع قدرتهم عليها ثم يرد عليه بما رد به سابقوه من العلماء من أن الصرفة لو حصلت لكانت هي المعجزة دون القرآن ولكان في كلام العرب السابق للقرآن أو اللاحق له ما يساويه .

٢ — يشرح بعد ذلك مذاهب من يجعلون سبب الإعجاز في أسلوب القرآن أو عدم تناقضه أو اشتماله على الأمور الغيبية أو في فصاحته ويفسرون الفصاحة بسلامة الألفاظ من التنافر والتعقيد في المفردات والتراكيب ويرد عليها بمثل ردود سابقيه .

٣ – ينقد المذهب القائل بأن إعجاز القرآن في اشتماله على الحقائق وتضمنه الأسرار والدقائق – وهذا كما نرى مذهب شديد الاتصال بالنظرية العلمية في الإعجاز – فيقول إن القرآن يشارك حينئذٍ غيره من الكتب الملخصة التي يستخرج منها الخلف فوائد متجددة وتكون الآيات الصريحة المعنى غير معجزة ومعاني الآيات الأخرى إما أن يدركها الإنسان فلا يكون حينئذ تفرقة بين القرآن وغيره أو لا يدركها فتكون أموراً غيبية ، فيرد عليها على طريقة الرد على هذه . وهنا نراه يطيل الردّ ، ولا يراعي أن غرض القرآن ليس التعمية واحتواء الألغاز والعلوم وإنما هو الهداية والتأثير في النفس .

٤ – يذكر المذهب القائل بأن الإعجاز في البلاغة وهو يوافق على هذا القول إذا قصد به أنه بلغ الغاية في فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه وينكره إذا أريد أنه بليغ بالإضافة الى أحدهما .

٥ – يذكر مذهب الإعجاز بالنظم المراد به أن نظم القرآن وتأليفه هو الوجه الذي امتاز به من بين سائر الكلام وهو يردُّه اذا قصر الإعجاز على النظم دون بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ .

وكذلك يردُّ هذا المذهب إذا جعلوا فيه القسط الأوفى في الإعجاز للنظم من بين هذه العناصر الثلاثة ويلاحظ أنه هنا يفصل بين هذه العناصر ويعطي للنظم مفهوماً خاصاً غير مفهوم عبد القاهر الجرجاني أو الباقلاني فالنظم عندهما مرتبط بالمعاني والألفاظ لا ينفصل عنها ولا سيما عند عبد القاهر فالنظم عنده قائم في حسن ترتيب المعاني في النفس وحسن تأديتها بالألفاظ مع الاستعانة بقواعد النحو بمعناه الواسع ولا أدري كيف يفصل صاحب الطراز بين هذه الأمور الثلاثة التي تكوّن شيئاً واحداً إلا اذا قصد بالمعاني الأغراض العامة التي يقال فيها الكلام وبالألفاظ مجرد قيمتها الموسيقية .

٦ – يذكر مذهب القائلين بأنه معجز بكل الأمور التي ذكرت ويرفضه لأنه

رفض هذه الأمور على التوالي ولأن الفصاحة والبلاغة كافيتان في إعجازه ولا وجه لعدّ غيرهما معها .

٧ً — بذكر مذهب القائلين بأن إعجازه فيما تضمنه من المزايا الظاهرة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها وأن هذا هو الوجه السديد في وجه الإعجاز عنده وأنه سيوضحه بمونة الله ولكنه لا يذكره في وجوه الإعجاز عنده . وبعد أن ذكر ما اختاره من وجوه الإعجاز وقد ذكرتها قبل ، يورد عليها الاعتراضات التالية مع الردود عليها :

١ً — ترجع الفصاحة والبلاغة والنظم إلى مفردات الألفاظ والعرب يعرفونها ، وإلى تراكيبها والعرب قادرون على أن يأتوا منها بالفصيح البليغ ، وهو يرد على ذلك بأن القرآن قد بلغ الغاية في الجودة وأن القدرة تتفاوت في حسن النظم .

٢ً — إن الفصاحة والبلاغة وحسن النظم في القرآن لا تدل على صدق النبي ووجه الإعجاز في القرآن للدلالة على صدقه وأنه من عند الله والبشر قادرون على الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ويجيب على ذلك بأنهم قادرون عليها ولكن الى حد وبأن البشر يتفاوتون في أساليبهم والقرآن يبزّهم ولا يلحقون بشأوه .

٣ً — لو كان القرآن معجزاً بفصاحته وبلاغته لما اضطروا حينما جمعوه بعد وفاة النبي أن يقبلوا الآية ممن هم مشهورون بالعدالة وأن يطلبوا البيّنة ممن هم غير مشهورين بها ، ويردّ على ذلك بأن القرآن مجموع في الصدور قبل وفاة النبي جمعه جبريل ... و .. الخ .

٤ً — لو كانت الفصاحة وجه إعجازه لما اشتبه على ابن مسعود الفاتحة والمعوذتان ولم يعدّهما من القرآن ، وأجاب على ذلك بأنه لم يخالف في كونها وحياً أنزلت للتبرك والاستعاذة وإنما في كونها من القرآن — ثم لأن هذا رأي لابن مسعود فلا يكون مقبولاً لأنه قول آحاد فكأنه خالف دلالة قاطعة — .

ويقول في الخاتمة إن القرآن إنما كان معجزاً لما بيّنه سابقاً لا للدلالات الوضعية سواء أكانت باعتبار دلالتها على معانيها الوضعية أو مجردة عنها وذلك فاسد

لأمرين : أولاً — لأن الكلمة قد تكون فصيحة في مكان ولا تكون كذلك في آخر . وثانياً — لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل الخ من أعظم قواعد الفصاحة وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني لا باعتبار ألفاظها .

وهنا نراه شديد التأثير بعبد القاهر الجرجاني فيجمل الفضل في النظم للمعاني لا للألفاظ ونرى أنه لم يأت في كلّ ما قدمه بجديد ولكن بقدر له حسن تنظيمه للبحث وطرقه له بصورة علمية منظمة شاملة تغلب فيها روحُ العالم روحَ الأديب وإن كانت لا تخلو من كثير من الجدل العقيم .

٤ — الأصبهاني :

ويأتي الأصبهاني (٧٤٩) فيتكلم في تفسيره على هذه المسألة وقد ذكر السيوطي (في الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ وما بعدها) رأيه في الإعجاز فقال : قال الأصبهاني : « اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز متعلق بنفسه ، والثاني بصرف الناس عن معارضته ، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى ، فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى : « قرآناً عربياً » ، بلسان عربي » ولا بمعانيه فكثير منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى : « وانه لفي زبر الأولين » ، وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاذ والإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع الى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدّى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة فإذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد ... فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام

ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه ... (هنا يعدد أصناف الكلام من شعر ونثر) ... ثم يقول: «والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها، بدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا قال تعالى: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ... وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً ... فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن وعجزوا عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها».

ويلاحظ على الأصبهاني أنه في هذا المصر جمع بين القول بالصرفة وبين القول بالإعجاز بالنظم وهما نقيضان والنظم عنده صورة القرآن التي تتألف من عنصري اللفظ والمعنى وليس اللفظ سبب الإعجاز لأن ألفاظ القرآن هي ألفاظ العرب نفسها، ثم نرى الأصبهاني يستبعد أن تكون معاني القرآن سبباً لإعجازه لأنه يرى أن كثيراً من الكتب المتقدمة تحوي هذه المعاني وهو يسوق دليلاً على قوله آية من القرآن الكريم: «وإنه لفي زبر الأولين» ثم ليس في الإخبار بالغيوب والمعارف الإلهية لأنها هي هي لو ذكرت في أي لغة، والقرآن إنما هو معجز بوصفه كتاباً عربياً فإعجازه إذن في نظمه، وهنا نرى الأصبهاني آخذاً برأي عبد القاهر الجرجاني في باب النظم حتى إنه يضرب مثال عبد القاهر نفسه في دلائل الإعجاز وهو مثال الخاتم المصنوع من مواد مختلفة والحلي المتنوعة من مادة واحدة وحتى إنه يستعمل ألفاظه نفسها إلا أنه يخالف عبد القاهر في مسألة الصرفة التي ينكرها عبد القاهر ويشنع على قائليها كما رأينا، والقرآن عند

الأصبهاني نظمه المخصوص فقد رأينا أنه لا يصح عنده أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يقال له كلام .

ثم إن الإعجاز - في رأيه - يدركه الأديب البليغ بالذوق لا بتطبيق القواعد العلمية وأساليب البلاغة تطبيقاً جافاً ، ومما يلفت النظر استعماله لفظي الظاهر والباطن في قوله : « عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها » ، وأرجح أنه يقول هذا متأثراً بفكرة الباطنية في التفسير .

٥ً - الشاطبي :

للشاطبي (٧٩٠) رأي يتصل بالإعجاز اتصالاً سلبياً فهو ينكر التفسير العلمي الذي يزعم أن القرآن يحوي كل العلوم بحيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها مما جعله المتأخرون من أهم أسباب الإعجاز على حين ليس هو صحيحاً في ذاته وليس منها في ورد ولا صدر ، ويقول الأستاذ الخولي فيه (التفسير ، منهجه ومعالمه) : « والمخالفة القديمة فيه - أي في التفسير العلمي - ما يبديه الأصولي الأندلسي أبو اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠) - في كتابه الموافقات وهو ينقد هذا الرأي العلمي للأسباب الآتية : ١ً - هذه الشريعة أمية لأنها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح . ٢ً - كان للعرب علوم وافقت الشريعة على بعضها وأبطلت بعضها الآخر لم تخرج عما ألفه العرب وينكر بعد ذلك أن يكون القرآن يحتوي على كل علم من علوم المتقدمين والمتأخرين . ٣ً - الصحابة والتابعون كانوا أعلم منا بالقرآن ولم يدعوا شيئاً من هذا ويذكر الشاطبي أدلة أصحاب هذا التفسير العلمي وهي استدلالهم :

آ - بقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » وقوله : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

ب - بفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها .

حـ - بما نقل من ذلك عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وغيره .

ورد على الأول بأن المراد بذلك العبادات وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ في الآية الثانية ، وردّ على الثاني بأن فواتح السور قالوا بأن للعرب بها عهداً بما عرفوا من حساب الجمل عن أهل الكتاب أو المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يقل بذلك السلف ، وردّ على الثالث بأنه لا يجوز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه وان يستعان على فهمه بما يضاف علمه الى العرب خاصة فبما يوصل الى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه » . ويضيف الأستاذ الخولي الى نقد الشاطبي ما يؤيده مما سنراه عند الكلام على رأي الخولي في الإعجاز .

٦ – الزركشي :

يتكلم بدر الدين الزركشي (٧٩٤) على الإعجاز في كتابه (البرهان في علوم القرآن) – هذا الكتاب موجود في المدينة انظر مجلة المعارف المجلد ١٨ رقم ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ص ٤١١ ، وانظر أيضاً مقدمة الإتقان للسيوطي ، وموجود في مصر أيضاً – ويظهر مما أورده السيوطي من رأيه أنه كان مجرد جامع لآراء من سبقوه ، قال السيوطي (الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ فصل الإعجاز) : « وقال الزركشي في البرهان : « أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده ، فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق ثم يعدد ما سبق من الأقوال المختلفة » .

فليس للزركشي رأي خاص إذن في الاعجاز ولكن المهم أن يعتقد بامكان وجود وجوه للإعجاز لم تقل حتى عهده فكأنه يؤمن بنظرية الاعجاز العلمي .

* * *

القرن التاسع

أشهر من لهم في فكرة الاعجاز كلام اطّلعت عليه في هذا العصر ثلاثة : ابن خلدون والمراكشي والسيوطي ، وبلاحظ على هذا الأخير أنه كان يأخذ من كل علم وفن بطرف وأنه ألف في جميع العلوم الاسلامية والعربية التي كانت معروفة في زمانه . وسأتحدث عن كل واحد منهم .

١ – ابن خلدون :

يتكلم ابن خلدون (٨٠٨) في مقدمته المشهورة على فن البيان فيقول : واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الاعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً وذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه . وأحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن مما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير » .

فابن خلدون يؤمن إذن بالاعجاز البلاغي الذي يدركه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته ويعتقد بأن العرب زمن النبي كانوا أعلى مقاماً وأبين لساناً من أدباء ما بعد العصر النبوي من المحدثين البلغاء وهذه النقطة موضع نظر وذكرت رأيي فيها من قبل .

(يتبع) نعيم الحمصي

الكلمات العربية
في اللغة الأُردية

قبل أن أدخل في صميم الموضوع أرى لزاماً عليَّ أن أعرّج مقتصراً على بعض المراحل التاريخية التي مرَّت بها اللغة الاردية قبل انخراطها في الأسرة اللغوية العالمية ، وأُلمَّ بالعوامل التي جعلتها تستمد قوامها من اللغة العربية خاصة ، وذلك كي يكون القارئ على علم بالحوادث المهمة التي أدت الى منشأ هذه اللغة ، أي اللغة الأُردية .

إذا أجلنا النظر في مواطن اللغة الأُردية وبحثنا عن مدى قِدَمِها وجدنا أنَّ هذه اللغة حديثة العهد بالوجود ، قريبة المدى في تاريخ اللغات ، إذ هي ليست من اللغات الهندية القديمة ، بل هي بنت الفتوحات التي توالت على يد المسلمين في فترات مختلفة من التاريخ ، وأخيراً أوجدها المغول (١٢٢٨ م) لأجل الاتصال والتفاهم مع السكان الأصليين وسموها لغة الأُوردو أي لغة الجيش أو المعسكر كما يدلُّ أصل معنى هذه الكلمة في التركية .

هذه اللغة مزيج من العربية والفارسية والسنسكريتية (١) أما العربية فأثرت تأثيراً مباشراً في اللغات الهندية بوجه عام ، وفي اللغة السندية بوجه خاصّ عن طريق الجيوش العربية التي احتلت السند تحت قيادة (محمد بن قاسم) سنة ٩١ هـ وتوسع سلطانهم فيما بعد الى (مُلْتان) وما جاورها من المناطق ، وعن طريق العلاقات التجارية الضاربة في القدم بين الهند وشبه جزيرة العرب قبل الاسلام ،

(١) وليس كما زعم (George Grierson) في كتابه: (Linguistic Survey of India) أن هذه اللغة فرع من فروع الهندية الغربية وليست لغة مستقلة .

حتى أصبحت العربية في (السند) لغة التخاطب [١] . ومما يشهد على تأصل اللغة العربية في هذه المنطقة ، أن السندية حتى الآن تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية قد تجاوز الحصر . أما تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية فتأتي عن طريق الفارسية التي هي أيضاً لم تستطع أن تقاوم تيارها خلال الفتوح الاسلامية (٧٥٠ — ١٠٠٠ م) وقد غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبتها نفوذاً وانتشاراً وهذا النوع من التأثير حصل عن طريق الفاتحين المسلمين من الأتراك والمغول والفرس والأفغان الذين كانوا تحت سيطرة اللغة العربية من ناحية الدين . هذه العوامل كلها تفاعلت وتمخضت عنها هذه اللغة التي تتكلم وتكتب بأكثر من مئة مليون نسمة ، بين مسلم وهندوسي .

الكلمات العربية ، مقدارها وكيفيتها في الأردية :

الكلمات العربية تكوّن أكثرية غالبة بين اللغات التي تضمها الأردية حتى فاقت الكلمات الفارسية عدداً ، وتتراوح نسبتها بين عشرين وستين بالمئة وذلك مما يدل على قوة انتشار اللغة العربية وسيطرتها على اللغات ، هذه الكلمات على قسمين : قسم طرأت عليه تطورات جرّدته عن عروبته حتى أصبح كالكلمات الأعجمية . هذه الكلمات ، ولا شكّ تنمّ عن طول بقائها في بلاد الغربة وقد يمتدّ عهد دخولها في اللغات الهندية الى صلاتٍ تجارية بين الهند والعرب قبل الاسلام . وقسم دخل عن طريق مباشر باستيلاء المسلمين على السند ، وعن

(١) ويمكن ان ندرك مدى تأثير اللغة العربية في اللغة السندية بما قال الرحالة الشهير الاصطخري ، الذي زار السند في القرن الثامن أن اللغات الدارجة في منصورة (الآن بهكّر Bhakkar) وملتان هي العربية والسندية ، اما لغة مكران فهي الفارسية ، وأيده ابن حوقل عند سياحته في السند حيث يقول أن أهل منصورة وضواحيها يتكلمون العربية ، وأيضاً عندما نزل المقدسي في ملتان سنة ٩٨٥ م ، قال تقع الديبل على شاطئ البحر ويحوطها حوالي مائة قرية ومع أن غالبية السكان هم من غير المسلمين فهم يتحدثون باللغتين العربية والسندية .

طريق غير مباشر بواسطة الفارسية التي كانت لغة البلاط في عهد المغول وبقيت تتمتع بمكانتها عدة قرون . وهذه الطائفة الأخيرة من الكلمات قد حافظت على عروبتها بعض المحافظة كما أن هناك كثيراً من الكلمات والأمثال أبت إلا أن تبقى على حالها ولم يمسسها سوء من العجمة .

ان العامل الأساسي في تغيُّر الطائفة الأولى وانحرافها عن أصلها العربيّ قدامة انفصالها عن أسرتها اللغوية وانعدام الدافع السياسي والديني الذي هو أهم ما تعتمد عليه اللغة في المحافظة على أصالتها ، لكنَّ الطائفة الثانية ، على عكس ذلك أفادت من حداثة عهدها بالهند ودُعمت بالسلطتين السياسية والدينية ، لأنها كانت لغة الفاتحين التي تغلبت على اللهجات المحلية وقضت عليها وأصبح الحكام ـ شأن كل احتلال ـ قدوة في اللهجة ومرجعاً في الأساليب . فلم يكن ثمة خطر التغير لأن أولي الأمر هم الذين أسسوا هذه اللغة وأشرفوا على نشرها واقرارها . وكذلك عندما انتشر الاسلام في الهند ورجع المسلمون الى مراجع دينهم ، عكفوا على درس اللغة العربية وتدريسها ونشطت فيهم حركة التأليف بها في مختلف العلوم وأكثروا من استعمال الاصطلاحات الاسلامية والكلمات العربية الأخرى وذلك مما جعلهم يحافظون على الكلمات العربية أكثر من ذي قبل ، ويتسابقون الى التفنن فيها في أساليب الكلام وكذا زادوا (الاردية) غزارة في المواد العربية .

بما أن عدد الكلمات العربية في الاردية يبلغ عشرات الألوف ، فمن الصعب إذن أن نقتصر على الثلاثين التي لا يمكن أن تمثّل أوضاع الكلمات العربية المختلفة تمثيلاً شاملاً صحيحاً ، لكن مع ذلك سأحاول تجديد البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وبالله التوفيق ومنه التسديد .

الكلمات العربية في الأُردية قسمان : قسم حدث فيه التصرف المعنويّ واللفظي وقسم سلم من التصرُّف بنوعيه ، ونبدأ حسب الترتيب بالقسم الأول :

أنواع التصرّفات :

قبل أن نأخذ في تحليل الكلمات العربية ، من الأجدر أن نقف على التصرّفات التي حدثت فيها على لسان العجم ، تقريراً لمبدأ التصرّف وتسهيلاً لتطبيق الشواهد التي نسوقها دعماً لذلك المبدأ المقرّر :

١ — التصرّف المعنوي في نفس الكلمة .

٢ — التصرف اللفظي في نفس الكلمة .

٣ — التصرف المعنوي واللفظي في نفس الكلمة .

٤ — التصرّف اللفظي في التركيب .

٥ — التصرّف المعنوي في التركيب .

٦ — التصرّف اللفظي والمعنوي في التركيب .

ومما يجب ملاحظته أن التصرّفات اللفظية بأسرها ترجع الى قانون الابدال والقلب والتخفيف . والتصرّفات المعنوية نتيجة لقلة الاهتمام بأصل الكلمات وقبولها على علاتها المعنوية المتداولة .

الشواهد للقسم الاول :

من الكلمات العربية ما لم يحدث فيه تغيير لفظي ، لكنه لم يسلم من تصرّف معنوي ، مثلاً كلمة (غريب) يراد بها الفقير ، و (معاف) يراد بها العفو مع أنها من العافية ، و (غلاظت) يراد بها الأوساخ ، و (مقدمات) تستعمل بمعنى القضايا التي ترفع الى المحكمة ، و (ملائم) بمعنى الناعم ، و (المشكور) بمعنى الشاكر ، و (المنظور) بمعنى المقبول ، و (فوج) بمعنى الجيش ، و (الاقبال) بمعنى الحظ والاعتراف ، و (وجه) بمعنى السبب .

الشواهد للقسم الثاني :

هذا النوع من التصرف يبدو جلياً في بعض الكلمات ككلمة (أمّاں) و (أبّا) للأم والأب ، و (هاتهہ) الأبدي ، والأبدي تخفف الى أبد ، وحسب قانون الابدال وقرب المخارج تصير (هَيْتْ) وأواخر الكلمات الأردية ساكنة ، لأجل ذلك اذا سُكن آخر (هَيْتْ) أصبحت التاء شديدة الصوت ، وهي تشبه تماماً (ته) في آخر (هاته) . كذلك كلمة (آب) بمعنى الماء ، وآب هذه عابٌ في العربية لأن العجم يخرجون العين مخرج الألف ومادّة عَبَّ لا تخرج عن طبيعة الماء ، لأجل ذلك يمكن أن نحدّد أصل (آب) الأردية (بعابٌ) العربية ، والأردية وسّعت في استعمال هذه المادة إذ يوجد فيها أكثر من مئة كلمة مركبة منها . ومما يجدر بالذكر أن من مركباتها كلمة (دولاب) التي تصرح عنها القواميس والكتب لجلة المؤلفين أنها معربة من الفارسية ، مع أننا لا نحتاج الى كبير تأويل لارجاعها الى أصلها العربي ، لأنها مركبة من كلمتين (دول) و (آب) ودول بمعنى الدّلو ومقلوبة منها أو هي لغة في الدلو كما يقول صاحب الأقرب ، و (آب) أصلها (عابٌ) كما مرّ فاذن معنى الدولاب الدّلو التي تعبُّ في الماء ، وهنا يصدّقنا صاحب اللسان إذ يقول : عَبَّبَت الدلو صوّتت عند غرف الماء ، وهذا غاية ما يراد بالدولاب أو الناعورة ، ومثل ذلك كلمة (سيلاب) التي أصلها سيلٌ عابٌ ، والعابُ من صفات السيل كما هو معلوم . وكذلك كلمة (آگ) بمعنى النار ، أصلها آجّ وهي صفة لها وقد سميت آجّاً تغليباً للصفة . ثم كلمة (سيدها) بمعنى المستقيم والصحيح ، ليست إلا سديداً في العربية بنفس المعنى . وأيضاً كلمة (سَرْد) ليست إلا (صرد) العربية بمعنى البرد أو البارد .

هذا في الأعلام أما في المصادر فيمكن أن نصل الى أصلها العربي بعدة طرق ، منها إزالة علامة المصدر في الاردية وهي (نا) التي تقوم مقام تنوين المصدر

في العربية ، فاذا أزلنا هذه العلامة تقربنا الى الأصل مثلاً (بنانا) بمعنى بناء ، إذا حذفنا منها علامة المصدر (نا) تجلى الأصل العربي بكل وضوح ، بعد حذف الهمزة الأخيرة للتخفيف ، وهو بنا . وكذلك (دالنا) بمعنى الادلاء ، بعد حذف العلامة تبقى (دال) وأصلها دَلا أو دَالي . وأيضاً (طيكنا) بمعنى الاتكاء ، بعد حذف العلامة تبقى (طيك) وهي نفس الاتكاء بعد تخفيف الهمزتين الأولى والأخيرة .

الشواهد للقسم الثالث (التصرف اللفظي والمعنوي في نفس الكلمة):

من هذه الطائفة كلمة (مِينه) بمعنى المطر وهي صورة واضحة لأصل الماء في اللغة العربية أي (ماهٌ) و (مَيْهٌ) انظروا مادة (موه) و (ميه) في قاموس ما حتى يوجد استعمال في نفس المعنى الأردي (أماهت السماء أمالت ماء كثيراً) «القاموس المحيط» . ومنها كلمة (سورج) بمعنى الشمس ، ليست إلا (سراج) العربية وقد وردت في القرآن صفة للشمس ، قال تعالى : (وجعلَ الشمسَ سراجاً) . ومنها كلمة (ديا) بمعنى (السراج) وهي ليست إلا ضياء العربية بتلفظ صحيح بعد سقوط الهمزة للتخفيف وهذا عامّ في الأردية .

القسم الرابع (التصرف المعنوي في التركيب) :

ومن هذا القسم كلمة (بى طرح) بمعنى خلاف الدستور و (بى لحاظ) غير متأدب و (بى وقوف) بمعنى أحمق و (بى لطف) بمعنى غير لذيذ ، الجزء الثاني من كل كلمة عربي لكنه من ناحية أصل المعنى العربي متغير تماماً .

القسم الخامس (التصرف اللفظي في التركيب) :

ومن هذا القسم كلمة (نا قابل) ، بمعنى غير صالح ، (قابل) كلمة عربية لكنها ركبت تركيباً أردياً بـ (نا) بمعنى (غير) ومنه (نالائق ، نا مساعد ، نا ملائم ، نا معقول ، نا معلوم ، نا مناسب ، نا موافق) ومعانيها واضحة .

القسم السادس (التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب) :

ومن هذه الطائفة كلمة (نا شكر) بمعنى (غير شاكر) كأن المصدر استعمل صفة مركبة ، وهذا غير موجود في العربية ، وإنكار استعمال المصدر بمعنى الصفة المفردة موجوداً ، ومنها كلمة (نا فهم ، نا قدر ، نا طاقت) بمعنى غير فاهم وغير قادر (بمعنى التقدير) وغير قوي .

القسم الثاني من الكلمات (غير متصرف فيها) :

هذا القسم يتعلق بالكلمات التي بقيت على عربيتها ولم يحدث فيها تصرُّف ، وعدد هذا النوع من الكلمات يكون أكثرية غالبة بالنسبة الى اللغات الأخرى . ولو راجع الانسان القواميس الأردية مراجعة خاطفة ، لدهش من كثرة الكلمات العربية التي تغمر مئات الصفحات حتى تبلغ على أوسط تقدير ، ألف كلمة تحت كلّ حرف من حروف الهجاء غير الحروف التي لا توجد في الهجاء العربي ، وهي قلة قليلة ، لكنّ القارئ قد يعذر في تحديد الشواهد ويقتنع بالقليل عن الكثير ، إذ تدوين هذه الكلمات بأجمعها يحتاج الى كتاب ضخم ، مما لسنا بقصده الآن ، وهذ الكلمات مصادر وصفات واصطلاحات دينية وقانونية وعلمية واجتماعية ، وأيضاً هناك أمثال عربية متداولة في الأدب الأردي كما هي لم يطرأ عليها تصرُّف :

المصادر العامة : مثل (اتباع ، اتصال ، اتقا (بتخفيف الهمزة وهذه عادة عند الناطقين بالأردية) ، اجتناب ، اجتهاد ، اجلال ، احتراز ، احتضار ، احتياط) وغيرها ألوف من أمثالها .

والصفات : مثل (آثم ، آجل ، آخر ، أبله ، أحمق ، أدنى ، أعلى ، أدقّ) ومنها ما يدلّ على اللون فقط مثل : (أبيض ، أبلق ، أحمر ، أخضر ، أدهم ، أزرق) .

الاصطلاحات الدينية : مثل (أولياء ، أوقاف ، أوصياء ، امامت ، الحاد ، افطار ، افتاء ، اعجاز ، اعتكاف ، استغفار ، استخارة ، ارتداد ، احرام) .

الاصطلاحات القانونية : مثل (وكيل ، مؤكّل ، موجّل ، معجّل ، مدّعي ، مدعى عليه ، استغاثة ، استرداد ، استحقاق شفع ، استحصال بالجبر ، انفكاك رهن ، انتقال الرهن ، أراضي شاملات ، أراضي لاخراج ، أراضي سكنى ، أداء الشهادة ، أخذ بالجبر ، احضار بالجبر ، ارتكاب جرم ، إجاره ، اتهام ، ابراء الذمة ، محضر) وغيرها ما يبلغ الآلاف .

الاصطلاحات العلمية : منهـا ما يتعلق بالعلوم النظرية كـ (إلهيات ، طبيعيات واقتصاديات ورياضيات ، واجتماعيات وأخلاقيات وسياسيات ونظريات) وغيرها ، وهذه كلها تستعمل بمعانيها العربية بلا تغيير ، وهناك اصطلاحات أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافية والهندسة والرياضيات والقواعد اللغوية ، وهذه الاصطلاحات تبلغ مبلغ الدهشة من الغزارة حتى ليخيّل لمن يدرس هذه العلوم ، أنها ترجمت بمبادئها واصطلاحاتها من العربية ، لكنني أتركها مخافة التطويل ، وأتمم هذه الكلمة الوجيزة بأمثال عربية تجري مجرى الأمثال الأردية بجميع كلماتها وحركاتها ومدلولاتها كـ (خذ ما صفا ودع ما كدر ، المرء يقيس على نفسه ، المكتوب نصف الملاقاة ، الكريم اذا وعد وفى ، الآن كما كان ، الأقرب كالعقرب ، أظهر من الشمس ، مضى ما مضى) . وبتغيير بسيط : (أول طعام بعده كلام ، والله بس باقي هوس) .

* * *

هذا وما زلت أحسبني مقصراً في اعطاء البحث حقه من الاستقصاء والتنقيب ، على أن الانسان كلما فكر في اللغة العربية وصلتها باللغات الأخرى ، وجد من

ناحية غزارتها في المادة ، وتوسعها في الاشتقاق ، وتنوعها في المعاني ، أنها تعمُّ جميع اللغات ، أو بكلمة أصح تأمُّها وتصبح علاقتها باللغات علاقة الأُم ببناتها ، وليس هذا عن توهم أو عقيدة دينية ، بل هي حقيقة منتظرة ، ويمكن أن يلقى الانسان بوادرها اذا تخلى عن تقليد المنهج الغربيّ في التفكير على غير هدى ، واستغنى عن ذلك المنظار الأسود الذي قد يُريه الحقائق على عكسها ، ويلقنه بأنّ كل ما في الكون بنفسه ، وليس له خالق أو قائم بأمره . وهذا الأسلوب من التفكير ، يحطُّ من مكانة التراث الخالد المجيد الذي شيّده آباء الشرق لمن خلفهم من الأبناء ، ولا يؤدي إلا الى استعمار لا يجلو بجلاء لأنه يعشش في الرؤوس دون المعسكرات ، وما أخطر هذا الاستعمار وما أرسخ جذوره ، وفي ذلك فليتدبر المتدبرون .

مبارك الباكستاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعريف والنقد

بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

الهوى والشباب

« دار المعارف • مصر »

الأخطل الصغير لقب غلب على بشارة الخوري ، لم يلقبه به أحد وانما اختاره لنفسه في الحرب الكبرى الأولى ، لأنه يعجبه من الأخطل خفة روحه وابداعه في اصطياد المعاني على نحو ما شرح ذلك في صدر الديوان •

ومن حسن حظه أن شعره رزق دار نشر في مصر اشتهرت بالإتقان وهي دار المعارف ورزق أستاذاً صاحب ذوق قدّم ديوانه تقديماً بارعاً لأنّ الروحين انسجمتا : روح بشارة الخوري وروح عادل الغضبان ، فقد نظر صاحب المقدمة الى شعر بشارة الخوري فلم يجد فيه الا نفح الريحان ، وشعاع الضحى ، وحمرة الشفق ، وخضرة الآس ، ونعومة الحرير ، ورقة خدود الورد ، جُبل هذا كله بندى الصباح ، وبسمة الفجر ، ونفثات النسيم ، فخرج من هذه اللطائف شعر بشارة الخوري ، ولا شك في أن القارئ يرى في هذه التعابير التي انتخبتها انتخاباً من مقدمة عادل الغضبان ولم أنشئها إنشاء تشابهاً في الذوقين ، ذوق الشاعر وذوق صاحب المقدمة ، وقد مضى الأستاذ عادل الغضبان في أسلوبه الرومانطيقي يدلُّ على حسنات شعر بشارة الخوري الذي هو قطعة موسيقى تعدّدت فيها الأصوات والنغمات ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب ، في هذا الشعر ، على نحو ما يقول ، ما شئت من بسمات المنى ، وعبسات القدر ، ومن حلاوة الوصال ، ومرارة الهجر ، ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب ، أو رقصات الزهر على ألحان الغدير •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اني مضطر الى ذكر هذه التعابير كلها، وهذه اللغة الشعرية نفسها، لأثبت ما قلت من أن روحي الشاعر والمقدم قد انسجمتا فذابت كل واحدة منهما في الأخرى، فلم تدر وأنت تقرأ مقدمة الهوى والشباب أتقرأ شعر بشارة الخوري أم تقرأ كلام عادل الغضبان .

اذا تكلمت على شاعر من الشعراء فكثيراً ما أتحامى الاهتمام بالموازنة بينه وبين شاعر آخر، ولا سيما اذا تباعد عصرهما وبيئتهما وما شابه ذلك، فلذلك أقرأ شعر بشارة الخوري، ولا أخطر ببالي شعر الأخطل، وكما لا أهتم بالموازنات فكذلك لا أهتم بالألقاب أو الرتب في الشعر، فالأخطل كان مرةً شاعر بني مروان، ومرةً شاعر العرب، ولكن هذه الالقاب ذهبت أدراج الرياح وبقي الأخطل وحده وشعره وخصائص هذا الشعر، فالشاعر لا يبقى إلاّ شعره وأظن أن بشارة الخوري يفخر بأن يكون شاعراً، وحسبه هذا اللقب العظيم فقد اجتمعت له أدوات الشعر بحذافيرها، اجتمعت له هذه الصور التي تجعل من الفكر والعاطفة والشعور أجساماً حية تراها بعينك، وتلمسها بيدك، وتسمعها بأذنك، واجتمعت لهذه الصور لغة شعرية تتلفت حيناً الى الصحارى الممتدة من وراء لبنان، وحيناً الى ما وراء البحر، ولذلك كانت هذه اللغة تشتد وترق، شدة الصحارى، ورقة ما وراء البحار .

ومن خصائص الشعراء الكبار أن يتفاوت شعرهم الاّ قليلاً منهم كالبحتري مثلاً، فهم يرتفعون حتى لا يجدوا مجالاً الى الارتفاع، ثم تراهم وهم في الهضبة ينخفضون وهذا لا يضيرهم في شيء لأن في ارتفاعهم وانخفاضهم ما يدلُّ على أن عبقريتهم أسيرتهم، وليسوا هم أسارها، فهم يخضعونها لطبعهم ولا تستطيع أن تخضعهم لمشيئتها، وسواء اشتمل شعر بشارة الخوري على صور متفاوتة في الحياة وعلى لغة متباينة في الشدة أم لم يشتمل، إن شعره يروّينا من الهوى، ويشبعنا من الشباب، وحسبنا منه هذا الريّ وهذا الشبع، ولكن شعره يتضمن

شيئاً أكثر من الهوى والشباب ، فان الهوى لا يخلو في بعض الاحيان من الكآبة ، أما شعر بشارة الخوري فانه صورة الحياة الضاحكة المشرقة ، لقد غمرتنا في هذا العصر وفي عصورنا البعيدة كآبة سوداء كادت تعمى معها قلوبنا وتشلُّ أعصابنا ، وتسدُّ عقولنا ، فاشتدت حاجتنا الى أدب يكشف هذا العمى ويدفع هذا الشلل ويفتح هذه العقول ، حتى نستطيع أن نجاري الامم في ميادينها ، فنكون شيئاً مذكوراً .

انا في حاجة الى مثل هذا الشعر :

من كان من دنياه ينفض راحه فأنا على دنياي أقبض راحي

حسبنا الشؤم وحسبنا الخمول الخبوء في طيّه .

ثورة الخيام

عبد الحق فاضل

لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد كثر الكلام على رباعيات الخيام في السنين الأخيرة ، ويرى الأستاذ الجليل الدكتور احمد أمين في مقدمته الرصينة التي قدّم بها كتاب : ثورة الخيام ، أن الناس يقبلون على هذه الرباعيات ، لأنها توافق روح العصر من حيث الملل من الحياة والاستهانة على هذا الملل بالانغماس في اللذات ، فأحبت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تضع بين أيدي الناس خيراً كثيراً ، وشراً كثيراً ، ليأخذ كل واحد منها بحسب عقله وطبيعته .

يظهر أن بين الأستاذ عبد الحق فاضل ، صاحب ثورة الخيام ، وبين روح الخيام شيئاً من الانسجام ، وقد أعانه هذا الانسجام على فهم الخيّام ، وادراك أسرار نفسه ، فأحاط به أتمّ إحاطة ، ولم يتعرّض للشائع المعروف من أخباره وسيرته ،

وإنما تعرّض لما كان له فيه رأي جديد ، أو لما نظر فيه من زاوية جديدة وخالف فيه جمهرة الخيّاميين على حد تعبيره ، وقد اعتمد في هذا كله على ست نسخ فارسية مختلفة ، فاستخرج منها ما لم تسبق ترجمته الى العربية ، وتوخى الدقة الممكنة ، فجهد في نقل الخيّام بأسلوبه وطلاوته ، وتشابيهه واستعاراته ، حتى ينقل الذوق الفارسي والأسلوب الخيامي الى العربية .

ولا ريب في ان الذي يطالع ثورة الخيام يمرّ على كثير من الجد في هذا الكتاب ، فان صاحبه عمد الى ما نسب الى الخيام من الشعر العربي ، فاطلع على روحه في هذا الشعر ، ثم قابل بين روحه في شعره العربي وبين روحه في شعره الفارسي ، فوجد الانسجام في الروحين ، وفي هذا النوع من العمل غاية في التحقيق .

لقد كشف المؤلف عن أكثر نواحي الخيام ، فتكلم على عقليته وعقيدته ، وشخصيته وفلسفته ، وقال فيه : انه جمع الفلك الى الفقه ، والطب الى قراءات القرآن ، والفلسفة الى علوم اللغة ، والشعر الى الكيمياء ، واللاهوت الى الرياضيات وهو في هذا كله في الطبقة الأولى ، واختص بالفلك والرياضيات .

وأضاف الى جلالة هذا العلم روعة الفن ، فذاعت رباعياته في الدنيا ذيوع ألف ليلة وليلة .

***

هذا ما يتعلق بالكتاب نفسه ، أما الخيّام فقد ثار في شعره على كل شيء ، ثار على المجتمع والدجالين والدين والسماء والدهر والأفلاك ، وقد يجد القارئ في ثورته على بعض الأخلاق الزائفة في رجال الدين ورجال المجتمع شيئاً من الصواب ، لأنه يجد شبه هذه الأخلاق في كل دهر . إلا أن المستغرب أن لا يكون دواء مثل هذه الثورات إلا في الخمر :

اشرب الخمر فقد قلنا وقلنا لك الفا

ان توليت توليت فليست لك رجعة !

ان العصر الذي نعيش فيه يختلف عن العصور السابقة ، من حيث التفكير والنظر الى الحياة ، لقد كثر في أدبنا الشؤم ، وشاعت فيه الكآبة ، فنظرنا الى الدنيا من وجهها الأسود الكالح ، فقعد بنا هذا النظر عن العمل ومجاراة الأمم السريعة في مشيها ، وانحصرت حياتنا في الشكوى من كل شيء : من السياسة والمجتمع والحياة كلها ، فكانت حياتنا على تعبير هذا العصر سلبية ، ولم تكن ايجابية ، والدنيا في هذا الزمن تغيرت ، فان عصرنا انما هو عصر الذرة ، فالأمم تتسابق في مخترعات العلم ، ولا شك في أن شيوع المرح في طبقاتها يعينها على هذا التسابق فلو شاعت فيها الكآبة وكانت هذه الأمم تقضي حياتها في الشكوى ، وفي الشكوى وحدها لأسرع اليها الفناء .

من أجل هذا ان شيوع روح الضجر والشؤم في الشرق كله ، قد يقعد بهذا الشرق عن مجاراة الأمم العظيمة ، فنحن بحاجة الى أدب فيه فرح وبشاشة ، وقد تكون البشاشة في غير الخمر ، قد تكون البشاشة في العمل نفسه ، وشهدنا الأمة التي تعمل ويكاد يكون العمل إلهها المقدس ، فهي أمة تمرح وتهش وتبش ، ولم تجعل الكأس ديدنها ، وإنما تأخذ منها بقدر .

وليت روح الخيام كلها من روح هذا البيت :

لا تضيق سعة الدنيـا على قلبك فافرح

ان تزيد الرزق أو تنقصه بالكدر . .

ما أشد حاجتنا الى هذا الفرح !

شفيق جبري

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

تأليف محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي

مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ – ١٩٥١

لا أزال أذكر الضجة الكبرى التي أثارها الدكتور طه حسين حين نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» ونشر فيه نظريات المستشرقين حيال هذا الشعر وأمكنته عبقريته أن يزرع في نفوس جيلنا بذور الشك حيال أشعار الجاهلية وأخبارها وعاداتها ، وعلى الرغم من مرور ربع قرن على موت تلك الضجة ، فلا تزال في بعض النفوس علالات من ريب مبعثها الجهل بحياة عرب الجاهلية وامتزاج الصحيح منها بالموضوع ، والصادق بالزائف .

وأعترف أن الكتاب الثمين الذي وضعه السيد محمد بن بليهد النجدي وأسماه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» من الكتب القمينة بتبديد كل ريب ، وبنقل القارئ من غير جهد الى جو الجاهلية في شتى مظاهرها ، ولئن كانت غاية المؤلف من كتابه هذا – كما جاء في مقدمته – « معرفة ما ورد في الأشعار الجاهلية ، وخاصة المعلقات ، من الأودية والجبال ، والمياه والتلول ، والرياض والبلدان العامرة والدارسة ، ومعرفة ما بقي منها الى يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعترى اسمه شيء من التغيير » – فانه قد تجاوز هذه الغاية ، فأضاف الى جغرافية بلاد العرب ، الموازنة بين حياة الجزيرة العربية الحالية وحياتها الجاهلية ، من حيث أسماء الأماكن ومواطن القبائل ، وطرق المواصلات ، ثم اطلعنا على مقومات حياة البادية التي «لا تتغير الا اذا تغيرت البادية» ، من حروب قبلية وقعت في أيامنا في مثل الأماكن التي وقعت فيها أيام العرب ووقائعها ، ولمثل الأسباب والدوافع ، ومن روابط القرابة وحقوق الضيافة والجوار ، ومن عادات الثأر بحيث نخيل الانسان المجتمع الجاهلي بكليته حياً واضحاً ، ويحل الشعراء الجاهليين محلهم الصحيح في مجتمعهم المنسجم .

وضع المؤلف كتابه في أجزاء أربعة ، وتطور منهاجه باتساع مناحي القول ، وتشعب شجون الحديث ، فقد كان يقصد البحث في الأماكن الواردة في المعلقات العشر ، وهو ما آخذه عليه بعض ناقديه ، ولكنه وقد نفض يده من المعلقات العشر ، جعلها القسم الأول من كتابه ، وبحث في القسم الثاني « أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين » ، وجعل القسمين في مجلدين ، حتى اذا أنجزهما وجد مجالاً للزيادة ، وألح عليه محبو العربية أن يستمر في عمله فوضع الجزءين الثالث والرابع ، ورتب فيهما البحث بحسب ألفاظ الأماكن الواردة في معاجم البلدان وما هو في حكمها ، مثل كتب ياقوت والبكري والهمداني .

طريقة المؤلف

اعتمد المؤلف في بحثه طريقتي المشاهدة والاستدلال ، فقد كان يقرأ القصيدة ويدرس مناسبة قولها ثم يعين مواقع الأمكنة الواردة فيها ، ويقارن ما جاء في المعاجم مع مشاهداته الشخصية في أنحاء الجزيرة العربية ، ولا يستطيع من يقرأ الكتاب بتدبر ، الا أن يعجب بالجهد الذي بذله المؤلف لتصحيح أقواله ، ولاستكمال المعلومات التي تنقصه ، فاذا شاء تحديد مكان سوق عكاظ جمع ما قيل بشأنها من نصوص ، ثم قام برحلة استغرقت زمناً طويلاً ، وما زال يطبق معلوماته على الأمكنة حتى حدد المكان وزاره مع سمو الأمير فيصل السعود وصحبه ، للتحقق من صحة ما ذهب اليه ، ثم وضع مخططاً للسوق نشره في كتابه (ص ٢١٠ ج ٢) . واذا شاء وصف خطوط المواصلات بين جدة والرياض فالكويت ، قام برحلة خاصة تحدث عنها في أكثر من أربعين صفحة ووصف فيها الطريق وكأنك تراها : جبالها ووديانها وكثبانها وعلائمها ، وما اتصل بها من شعر أو نثر أو خبر ، حتى يصل بك الى الكويت (١٣٧ ج ٢) ، واذا أشكل عليه معرفة مكان ولم يستطع أن يبحث عنه بنفسه كلف من يبحث عنه كما صنع حين أراد معرفة جبل « راكس » فأرسل رسولاً خاصاً ينقب عنه

يحدد له المناطق التي يتوقع أن يجده فيها ، وعاد الرسول بعد شهر وأخبره أنه وجد الجبل ووجد كثيب الرمل المجاور له والمسمى « أبرق راكس » (المقدمة) .

وآية اخلاص المؤلف وثقته بنفسه أنه نشر في الجزء الثاني من كتابه كل ما ورد عليه من النقد ، وجوابه على أقوال ناقديه وتجريحها بالحجة والمشاهدة ، وتلك لعمري سنة حسنة قلّ من يستطيع اتباعها .

هذا الحرص على تحري الحقيقة ، أتاح للمؤلف أن يصحح ماقاله أصحاب المعاجم عن جغرافية جزيرة العرب ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها بعض كبار مؤرخي الأدب في زماننا ، وقد أشار المؤلف الى ذلك اشارات كثيرة في كتابه نكتفي بذكر بعضها : قال المؤلف وهو يصف الطريق بين جدة والكويت : « ثم تصل مراة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ، منهم من قال : انها بلد امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال انها بلد امرئ القيس التميمي ، وأنا مع من قال انها بلد امرئ القيس التميمي ، فاذا كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضع يلتبس علينا ... الى أن يقول : لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمر بها في تجوالاته ، لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو الكتب أن الدخول وحوملا وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جلجل في اليمامة فقد أخطأ ، بل المواضع التي مرّ ذكرها موجودة بأسمائها يرى بعضها من بعض ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها .. » . (ص ١٦٦ ج ٢) .

وقال في معرض الكلام على « ضلفع » بعد أن ذكر تخبط المعاجم بشأنها : « ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها واختلف » (ص ٨٥ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (شُطب) : « وكان منشأ خطأ الشراح انهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدي فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد » (ص ٧٣ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (كتيفة) : « أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل منها كتيفة ، خامسها هو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره الا الذي ذكره في معلقته كأنه كتيفة مبهل وآية ذلك انه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبانين وقطن والمجيمر » .

خلاصة الكتاب

ليس من اليسير تلخيص هذا السفر « المكثف » ولكن من حق المؤلف علينا أن نضع أمام القارئ صورة مصغرة لما يمثل كتابه من جهد ومشقة وخبرة ، وما يحتوي من ثروة علمية مختلفة الألوان .

الأخبار الأدبية

لم يكن المؤلف يكتفي بتحقيق أسماء الأماكن ومواقعها ، وانما كان يضيف الى ذلك ما يتصل بهـا من شعر أو خبر ، ففي معرض الكلام على « عنيزة » قال : بعث الحجاج رجلاً يحفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة ، فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، ـ يعني امرأ القيس ـ حين قال ـ :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجا مما أحال على الوادي

وقال في معرض الكلام على (وادي الحفر) : « يعرفه عامة أهل نجد لأنه باق بهذا الاسم ، وقد كان المستعين العباسي أمر والي مكة في زمانه أن يحصي حفظة القرآن من أهل الحفر الذين قصدوا مكة للحج فكانوا احدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور » . (ص ١٣٢ ج ١) .

وقال في معرض الكلام على (الصمان) : « قال ياقوت ... قال المؤلف : الصمان مشهورة عند جميع العرب القاطنين في نجد ، حدودها معروفة وقد قال الأصمعي : اذا ربعت الصمان أخذت العرب جميعاً . وفي رواية عن الأصمعي

عن الصمان قال : من تربع الصمان ، وشتى في الدهناء ، واصطاف الحمى فقد أدرك المرباع وحدوده معروفة ، وقد قلت هذه الرواية للأمير شكيب أرسلان أيام اقامته عندنا في الطائف فقال : كيف ان الأصمعي يحرم الشام من الربيع ، فقلت له ان رجلاً من الأعراب في الشام لما رأى المكاء قال :

الا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيح فأين تبيض
فعرج الى أرض المكا كي واجتنب قرى الشام لا تصبح وأنت مريض

فقال لي : ان هذا الاعرابي نجدي وأبطأ مع جيش المسلمين ، فعاف الشام والاقامة فيها (ص ٢٠٣ ج ٤) .

وقال في معرض الكلام على وهط (ص ٢٤٦ ج ٤) : قال ابن الاعرابي : عرش عمرو بن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبة ، ابتاع كل خشبة بدرهم فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط ، فقال أحب أن أنظر اليه ، فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا ان هذه الحزة في وسطه فقيل له : ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب (وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء) ...

قال المؤلف : (وهط) .... «وقد خرجنا مع سمو الأمير فيصل الى موضع (السد) المجاور للوهط فرأينا هناك مسجداً قديم البناء ومحيط به مقابر ووجدنا على نصائبها كتابات على كل قبر اسم صاحبه فلان بن فلان السهمي وعلى النصيبة تاريخ وفاة صاحبها وأكثرهم ماتوا في القرن الثاني والثالث ، فلا شك ان هذا الموضع يملكه رئيس بني سهم بن هصيص وهو عمرو بن العاص وقبيلته السهميون أهل تلك المقابر ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها» .

وقال في معرض الكلام على «ركبة» ، أرفع موضع في نجد ، قال عمر ابن الخطاب : لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة ، أحبُّ اليّ من أن أخطئ خطيئة واحدةً بمكة» .

اندراس المدن القديمة

وصف المؤلف حادثاً هاماً يقع في جزيرة العرب هو اندراس مدن عامرة واختفاؤها تحت الرمال ، فقال في صدد حديثه عن أبرق الحنان) :

« ابرق الحنان » : وهو كثيب مرتكم ، اذا ارتكمت رماله وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ولا يزال الناس يسمعون ذلك الى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه الى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا سمي بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فان الجن فيه تحن الى من قفل عن ذلك المنهل « منهل يجاوره » . هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : انا نبيت تحت هذا الكثيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ولا نشك أنها أصوات الرمال اذا تهايل بعضها على بعض ، ولا أعرف في نجد كثيباً له حنين وأصوات الا هذا الكثيب ، ثم يقول :

« أعرف أكثبة مرتكمة في الجنوب الغربي من تاذق وهي أكثبة ارتكم بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة تاذق على شماله وهو يمشي وتتاخمه محلة من تلك المحلات يقال لها الشعيبية مختلطة بمدينة تاذق ، فعزم أهل تلك القرية ان يحجزوا دونه ، واستصرخوا بأهل المدينة فلم يجد ذلك شيئاً بل ردم ما فيها ودفن القصور والنخيل واضطر أهلها الى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فاذا القصر الذي طوله خمس عشرة قامة الى عشرين قامة لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، واذا النخلة السامقة في الجو لا ترى منها الا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فان هذه القرية قد انطمست تحت الرمال (ص ٧٠ ج ٢) .

أيام العرب

فسح المؤلف في كتابه مكاناً لأيام العرب ، قديمها وحديثها ، ولم يفته أن ينبه على أسبابها ، وعلى وقوعها في الأمكنة الواحدة في القديم والحديث . ففي

صدد الكلام على (سوقة) (ص ١١١ ج ٢) قال: «كان فيه موقعة في الجاهلية بين بني تميم وبني قشير، وحدثت به وقعة أعظم في أوائل القرن الرابع عشر بين عتيبة ومطير، وكان من عادة العرب في الجاهلية اذا نزل المطر في جهة من الجهات وأخصبت انتقل اليها من لم تخصب منازلهم، فان منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغماً عنهم واقتتلوا عليه فان شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم على أن يصنعوا ذلك معهم اذا أخصبوا».

وقال عن (شعب جبلة): «وكان فيه يوم بين بني عامر وبين بني تميم وهو من أعظم أيام العرب وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال، وفي العهد القريب وقع يوم في سنة ١٣٤٨ بين عتيبة برقا والروقة، انهزمت فيه برقا وانتصر الروقا، وهم من بقايا بني عامر التي انتصرت على تميم في ذلك الموضع».

وقال عن يوم النسار (ص ٦٤ ج ٣) وانا أعرف النسار المذكور يقيناً، كان به ثلاث وقعات في الجاهلية ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة بين عرب نجد.

وقال أيضاً (ص ١٠٣ ج ٢): «وفي طخفة يوم من أيام العرب المشهور، وفيه يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨ بين حرب وعتيبة».

وبعد أن ذكر طائفة من أيام العرب وأمكنتها، وفصل وقائعها، قال: «نحن نقول أن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لا تكون فيها معارك في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث».

على أنه لم يفته أن يذكر ان هذه المعارك انتهت أيامها بفضل النظام الجديد الذي ساد الجزيرة العربية. قال المؤلف بعد أن ذكر (قضة) التي كانت فيها وقعة بكر وتغلب العظمى في مقتل كليب - والجاهلية تسميها حرب البسوس -: «أوردنا هذه العبارة وما قبلها ليطلع القارئ على حال العرب في جاهليتهم وقتالهم وتفانيهم بينهم، وأوردنا قصيدة الأخنس البائية لذكره تفرق العرب ومنازلهم

وديارهم وورث هذه الحروب أبناؤهم من بعدهم ففعلوا كما فعل أسلافهم فلم تسكن هذه النعرة الا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر بوجود صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فأزالها من قلوبهم وألسنتهم بفطنته وسياسته الحكيمة » (ص ١٠٩ ج ٤) .

الحياة الاجتماعية

يتضمن الكتاب ثروة ضخمة من المعلومات عن الجزيرة العربية ، فتكلم المؤلف على عادات أهل نجد (كالضيف والطنب والبطن ـ فنجان قهوه ـ والخوى) وغيرها من العادات العربية وأخبار الصيد والقنص ، وأخبار لصوص العرب وشطارهم ، وتحدث عن المعارك في نجد ، وختم كلامه عنها بما نصه : « فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعاً فلا يحتاج أحد الى (خوى) ولا الى (اخاوة) ولا الى (جار) ولا الى (عاني) ولا الى (علقة) جميع تلك العوائد قد انقطعت وكلها من الله سبحانه وتعالى ومن حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف فانه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر (ص ١٣١ ج ٢) .

الشعر النبطي

ثم كتب فصلاً خاصاً بالشعر النبطي ، ويعني به الشعر العامي في الجزيرة العربية وقد دل على معرفة واسعة بهذا الشعر وعلى تذوق للشعر العربي القديم اذ ذكر طائفة من الأشعار النبطية وأظهر كيف أخذت معانيها من أشعار جرير والفرزدق والأعشى وغيرهم من شعراء العربية (ص ١٨٩ ج ٢) . وبحثه هذا جديد طريف يجدر بنا ان نسوق طرفاً منه ، قال المؤلف :

« يعلم قارئ هذ الكتاب اني استشهدت بأبيات من الشعر النبطي في ذكر بعض المعارك وهي أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم وهؤلاء أعني اهل الأشعار النبطية عرب على فطرتهم حذوا

في كلامهم حذو قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب في بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التي بين العراقين : العراق العربي والعراق العجمي . وقد كانوا معروفين فيه باسم النبيط أو النبط منذ العصر الجاهلي الى اليوم وقد جاء في شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وطوفت للمال آفاقه ... عُمانَ فحمصَ فأوريشلَمْ
أتيت النجاشي في داره ... وأرض النبيط وأرض العجم

ويروى عن ابن القرّية وكان في زمن ولاية الحجاج على العراق أنه كان يقول : «أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا» وقال أبو العلاء المعري في احدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعذارى ... إذ مال من تحته الغبيطْ
استعجم العرب في الموامي ... بعدك ، واستعرب النبيطْ

ثم قال : وإذ قد عرفت ان طريقة الحياة عند النبط هي طريقة الحياة عند العرب فلا عجب أن تجد توافقاً عظيماً في المعاني التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ، ثم ساق طائفة من الأمثلة نختار منها مايلي :

قال طرفة بن العبد في مطلع معلقته :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هلْ الدّارْ ياعوّادْ الا مَنازِلْ ... سباريت يا عوّادْ خفيةْ رُسومْها
بلوح السنافيها كما لاحْ زرْقه ... على خدْميْ مَن بقايا وشومْها

فأنت اذا تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها بالوشم على اليد ، واذا تأملت قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار بالوشم على الخد .

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جُرثم

وقال محمد بن لعبون :

تبصر خالي هل ترى مَن ظعائنْ تقافتْ على حد الشفا من خرومْها
تنجّتْ عن الحزمْ اليماني وقوّضتْ على شاطي الجرعا تقوّت اعزومْها

انظر تجد زهيراً يسأل خليله هل رأى الظعائن ، وتجد هـذا المعنى بعينه وبألفاظه في قول ابن لعبون .

قال جرير بن عطية :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

وشبه ذلك قول عبيد بن عويد الجماج راعي الأثلة :

الشيخْ شدْ وراح قدمْ الصلاة واللي رَحَلْ ما بلّفتْ للمقيمين
مَنْ عقّبْ ما قفّوا ورَاوا رَادات غدوا بقلبي وأبقوا الدمع بالعينينْ

جرير ذكر أنهم أبقوا وشلاً بعينه معيناً ، وابن عويد يقول : غدوا بلبي وأبقوا الدمع بالعين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال ابن مقرب :

فمن لم يقدها ضامرات الى العدى تُقدْ نحوه عوجُ البرى والشكائم

وشبه ذلك قول ابن عريضة :

من لا يقودْ الخيلْ يمّ حفيفة ان قادها والا عليْه تقاد

كلام الشاعرين النبطي والعربي معناه واحد ، ان لم تصل العدو في أرضه وصلك في أرضك .

قال أعشى قيس راعي منفوحة :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن في الليل في حافاتها زجل

وشبه ذلك قول محمد بن لعبون :

في صحصحْ كنّهْ قفا التّرس مقلوب طرْبْ بهْ الجنى على فقْدهْ الذيبْ

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر

زجل الجن · والزجل الصوت ، وفي قول ابن لعبون ذكر المهمه وشبهه بالترس ، وذكر أن الجني طرب في هذا المهمه على فقده الذيب ، والذيب لا يقيم الا قريب ماء · فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء من المفازة التي قبلها ·

منازل القبائل العربية

وكذلك عرض لمنازل العرب في الجزيرة العربية فقال : « سألني بعض أهل الأدب ، هل بقي من العرب قبيلة في منازلها من العهد الجاهلي الى هذا العهد أجبته ··· وذكر القبائل التي بقيت في أمكنتها والقبائل التي نزحت عنها ومنازلها في العصر الحاضر » (ص ١٨٥ ج ٢) ·

وقال بصدد حديثه عن « جنب » بعد أن أورد ما قاله ياقوت بشأنها قال المؤلف : « (جنب) الذي في اليمامة قد انقطع ذكره والذي أعرفه الى هذا العهد مصغراً يقال له جنيب ماء في شعب من فروع وادي نساح في عرض جبل ترده السفار وقد وردته وقد مر ذكره · وأما جنب فهم بطن يماني معروف بهذا الاسم الى هذا العهد · وهم من عبيدة قحطان وجميع بطون قحطان الموجودين في نجد لا يعرفون (كهلان) ولا (همدان) ولا (خولان) ولا البطون الباقية التي يمرون عليها في نسبهم قبل أن يصلوا قحطان وقد رأوا التمسك هذا بالنسب الجامع لهم أهون وأخصر » ·

الجغرافية الاقتصادية

ولم يفته أن يذكر طرفاً من الجغرافية الاقتصادية للجزيرة العربية فتكلم على معادن الملح وأمكنتها ، وعلى معادن الفضة وذكر بعض وقائع تتصل بذلك فقال : « أما معادن الفضة ، في بلاد باهلة فمعروفة الى هذا العهد ، معادن فضة وغيرها من نحاس وحديد وذهب ، وقد أمرني وزير المالية عبد الله السليمان أن أكتشف له هذه المعادن فبعثت اليها مندوبين من قبلي على أن يستخرجوا

من كل معدن أحجاراً وبكتبوا اسم الموضع فأحضروا ما يقرب من خمسة وعشرين طرداً مختلفة الأشكال في لونها وأسمائها ... (٢٣٣ ج ٤).

هذه خلاصة غير وافية عما يتضمنه الكتاب من كنوز، ولقد كان لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل آل السعود فضل الأمر بتأليفه، ولمعالي السيد عبد الله السليمان فضل الانفاق على طبعه، وحبذا لو يتاح للمؤلف اعادة طبع الكتاب واعادة النظر بمناهجه، وببعض أخطاء نحوية يتضمنها الجزآن الثالث والرابع، والنظر بالأماكن الواقعة في سورية والعراق ومصر فيزورها ويراجع ما كتبه عنها ليأتي ذلك منسجماً مع العناية التي بذلت في تحقيق أسماء الأمكنة الواقعة في قلب الجزيرة العربية.

الدكتور احمد السمان

مجمع اللغة العربية

معجم ألفاظ القرآن الكريم

(الجزء الأول)

الهمزة والباء والتاء والثاء

هذا عمل من أفضل الأعمال التي تجلت على أيدي أولئك الأعضاء الأجلاء لمجمع اللغة العربية بمصر، فقد دعاهم داعي الواجب الى وضع معجم خاص بألفاظ القرآن الكريم - أي تفسير كلماته، لأنها هي السبيل الى فهم آياته؛ فندب المجمع لذلك طائفة من أكبر رجاله وأشهرهم اشتغالاً بالعلم، وخدمة لهذه اللغة الكريمة، وتجد أسماءهم وأسماء الأساتذة المنتدبين من غير أعضاء المجمع ليكونوا عوناً لهم في هذا العمل الجليل. وقد عقد المجمع جلسات كثيرة في دوراته السنوية لإنجاز هذا الموضوع، فكان من ذلك أن طلع الجزء الأول على الصيغة التي تم الاتفاق عليها في ترتيب هذا المعجم المبارك. وقد ذكر في مقدمته طريقتهم في وضعه، ومنها أن يذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة

بهذا المعنى ، ويكتفي بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى ، وينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . وقد جاء هذا الجزء في مائة وخمس وثمانين صفحة بدئت بلفظ « أبًا » وختمت بكلمة « ثيّبات » .

وهذا مثال مما ورد (في ص ٦٩ و ٧٠) في تفسير التأويل الوارد في آيات من عدة سور :

« أوّل الكلام وتأوله : فسره وبين المراد منه ، والتأويل التفسير ، وتبيين ما يؤول اليه الأمر من الكلام » . وأوضح أن لفظ (تأويل) ورد سبع مرات في سورة يوسف والكهف . و (تأويلا) مرتين في سورتي النساء والإسراء و (تأويله) ثمان مرات في سورة آل عمران والأعراف ويونس ويوسف مشيراً الى أرقام الآيات في كل سورة .

أقول : أما ما ورد في سورة الأعراف (٧ : ٥٣) « هل ينظرون إلاّ تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحق » فالمراد ما يؤول اليه الأمر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة . وفي سورة يونس (١٠ : ٣٩) « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولمّا يأتهم تأويله » وهو ما يؤول اليه الأمر من ظهور صدقه ، ووقوع ما أخبر به . وفي سورة يوسف (١٢ : ١٠١) « وعلمتني من تأويل الأحاديث » فتأويلها هو الأمر الوجودي الذي تدل عليه ، وهو فعل لا قول كما في قوله : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا » أي هذا الذي وقع من سجود أبويه واخوته الأحد عشر له .

فتبين من هذه الآيات أن لفظ التأويل قد ورد في القرآن بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المآل ، تصديقًا لخبر ، أو رؤيا ، أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل كما أوضحه بعض أئمة اللغة والدين .

أثاب الله مجمع اللغة العربية أفضل الثواب على اهتمامه بوضع هذا المعجم الكبير ، وأعانه على إتمامه .

تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)

تأليف

محمود محمد حمزة ، حسن علوان ، محمد أحمد برانق

فسر القرآن هؤلاء الفضلاء - وهم من أساتذة المدارس والمعاهد ، ومن مفتشي وزارة المعارف المصرية - فسروه بباعث الإيمان والوجدان ، إذ ليس لديهم مال ينفقون منه في سبيل الله ، ولا سلطان يدخرون أجره عند الله (فليكن زاد الدارين ، وذخر الحياتين تفسير القرآن) كما قالوا ولنعماً فعلوا .

يقع هذا الجزء في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وطريقتهم فيه أنهم يوردون بضع آيات من السورة ، أو بضع عشرة آية منها ، أو أكثر من عشرين آية جملة واحدة ، مشكولة شكلاً تاماً ، ثم يشرحون الألفاظ شرحاً موجزاً جامعاً لمفرداتها ، ويأتي بعده (مجمل المعنى) الذي تضمنته آياتها ، وهذا مثال من تفسير «الحمد لله رب العالمين» : (الثناء والشكر لله وحده الذي يدبر أمور المخلوقات ، ويربي عالم الإنسان والحيوان والنبات في الدنيا بالحياة والغذاء والتناسل ، فيمنحها من نعمه ما يحفظ بقاءها إحساناً منه ورحمة الخ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن تفسير «إياك نعبدُ وإياك نستعين» أنت يارب المستحق أن نخصك بالعبادة ، ونخضع لك باتباع ما أمرتنا به ، وتجنب ما نهيتنا عنه ... كما أنك المستحق وحدك لأن نستعينك على جلب الخير لنا ودفع الضر عنا ، فلا نلجأ إلا اليك ، ولا نطلب المعونة إلا منك ، ولا نتوسل اليك بشفعاء في تيسير أمورنا ، وشفاء مرضانا ، وقضاء حاجاتنا ، لأنك أقرب الينا من حبل الوريد .
ومن «اهدنا الصراط المستقيم» : دُلنا أيها الإله القادر على طريق الخير دلالةً تحفظنا من الضلال والخطأ ، ووفقنا الى السير فيه الخ .

فقد تبين من هذه الأمثلة أن هذا التفسير مدرسي يوضح للطلاب ما هم في حاجة الى معرفته من فهم معاني الكلمات وتفسير الآيات تفسيراً يظهر المراد منها ، بل يستفيد منه سائر المسلمين ، لأنه كتب بأسلوب عذب مقبول ،

لا طويل مملّ، ولا قصير مخلّ. أما ملحوظاتنا على هذا الجزء من التفسير فكما يأتي :

١ — لم تذكر أسماء التفاسير القديمة ولا الحديثة التي أشير اليها في المقدمة بقولهم : ولقد رأينا ... أن نرجع أولاً الى المفسرين السابقين والمعاصرين الخ كما أنه لم يُعزَ شيء اليها مما نُقل منها باللفظ أو بالمعنى .

٢ — لم يُسمَّ كتاب من كتب أسباب النزول، وقد استُمد منها ما أُنزل في شأنه القرآن .

لم يرقم عدد آيات كل سورة مع اسمها في أولها كما هو المتبع، ولا عُدّت حين تفسيرها، ولم يوضع رقم الجزء المفسَّر، ولا اسم السورة في رأس كل صحيفة، ولا تُوِّجت الصحائف بخلاصة ما تضمنته من المباحث، كما جرت عليه كتب التفسير في طبعها الحديث كالكشّاف وتفسيري المراغي والمنار، والأخير هو الذي دلّ على مشتملات الصحائف بالعناوين .

وبعد فإن كتابة هذا الجزء من التفسير بأسلوب شهيّ حديث، هو الذي اقتضانا ذكر هذه الملاحظات، فجزى الله المؤلفين أفضل الجزاء، ووفقهم الى إتمامه بفضله وإحسانه .

محمد بهجة البيطار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(من صميم الحياة)

اسم كتيّب لطيف الحجم ضخم الفائدة ألفه الأستاذ حمدي عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق وأودعه نبذاً مقتبسة من صميم الحياة الاجتماعية التي يحياها كل واحد من البشر، وأي انسان يكون سعيداً في حياته من دون (الصبر) و (الاخلاص) و (حب الحق) و يعمل بقوانين (الاقتصاد) ويجتنب (البخل) وسائر المساوئ . وفي الكتاب أشياء أخرى من عيون مكارم الأخلاق . وفي خاتمته نصوص خطب وأحاديث أُذيع بعضها في اذاعة دمشق، فيها عظات وعبر، لمن فكر وتدبر . ويبلغ الكتيب نحو (١٣٥) صفحة حسنة الطبع والحرف والورق فنثني على مؤلفها خيراً ونلفت اليها الأنظار .

المغربي

آراء وأنباء

كلمة الدكتور سامي الدهان (١)

سيدي معالي رئيس المجمع

حضرات السادة الأعضاء

منذ زمن بعيد، توافد على الشرق الأوسط كثير من مسلمي البلاد العثمانية في الغرب، فوجدوا في أفيائه الظل الظليل والمنزل الرحب، وبلغ بعضهم مرتبة الإمارة والوزارة، ورَقِيَ بعضٌ الى العروش.

وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد قدم في الوافدين رجل ألباني الأصل ألقى مراسيه في شاطئ بيروت، وراح يعمل فيها، حتى اذا استقر به الحال سلك في اللبنانيين ودخل في حياتهم وبنى على واحدة من بيوتهم من أسرة الخوري، وكان من هذا الزواج «احمد» وقد عُرِف بالأرناؤط دِلالة على الوطن وإشارة الى الأصل.

وكان «أحمد الأرناؤط» يعمل بين البر والبحر فيعاشر أمواج البحر وأنواع البشر، ويقتبس من هذه قوةً ومن هذه اطلاعاً. فلما استراح الى حيّه من بيروت خطب منه وتزوج فيه ورزقه الله بنين وبنات، وفيهم «معروف» وُلد سنة ١٨٩٢ والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار.

وفي هذه الآونة كانت بيروت تموج بالطلاب وتضطرب باللغات وتهتز بالمنابر، ففيها مدارس وكليات، ومعاهد وجامعات، تختلف اليها الطوائف والمذاهب على ألوانها ومشاربها، تتنافس في العلم وتتسابق الى الثقافة ووقع في روع الناس أن هذه المدينة تعيد تاريخهـا القديم حين كانت تحمل الى البحر المتوسط كله شعلة الحقوق ودراسة القانون.

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٤ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي.

في هذه الزحمة من نشاط المدارس دخل (معروف) الكلية العثمانية الاسلامية للشيخ أحمد عباس الأزهري أبي الفتيان الأحرار، وهذه الكلية كانت كمثيلاتها قوة في العربية ووقوفاً على الفرنسية وتمرساً بالخطابة وعكوفاً على القريض والكتابة. وكان الشعر واسطة السباق في الحلبة وشارة النبوغ في الشباب، يدوي في بيروت فتحفظه الصدور وتعيه القلوب.

ولم يتخلف معروف الفتى عن هذا الركب، فقد وهبه الله لساناً لافظاً وقلباً حافظاً، فشارك في القول وخاض في المعركة، وكانت بيروت تسمع أشكيب أرسلان وخليل مطران واليازجي والبستاني، تنتشي بقصائدهم وخطبهم في العرب والعربية، وتشغل ليلها ونهارها بهذا الجدل المتصل حول الاشتقاق واللغة، والعامي والفصيح، وتموج على المعاجم وقد غمرت السوق، طوراً تصدر عن اليسوعية، وطوراً تطبع في الأمريكية، وأحياناً تنبثق من الحكمة والكلية العثمانية.

في هذا الجو المضطرم بالخطابة والكتابة والشعر نشأ معروف، فداعب ربة الشعر حيناً من الزمن، وتعلق بالترجمة، وردد ذلك على صحبه واخوانه.

ولما احتفلت بيروت لتكريم الشاعر معروف الرصافي، ووقف الجهابذة ينشدون ويتفننون، صعد في أقصى السلم فتى في السادسة عشرة من عمره ينشد قصيدة في الحفل، فتلفت اليها القوم، ونظروا الى الفتى نظرة النسر الى وليده، يكتسي بالريش ويتقوى بالريح ويحدق الى السماء ليخفق بجناحيه بين النسور.

وقرأ الناس ببيروت في صحف: «البلاغ، والرأي العام، والاقبال» ترجمات عن الفرنسية في المسرحية والقصة ومقالات في الأدب وقصائد، فتساءلوا عن هذا الفتى يجمع بين جنبيه طموحاً الى عربية محلقة لا تنزل عن خيال الابتداعيين الغنائيين، ففيها جرح وأسى ويأس، حتى لقد ظن كثيرون أن الفتى طبع على الألم وصرف الى الهم فيما يترجم عن الغربيين، وخيل اليهم أنه فطر على العروبة فيما يتخيل ويكتب، أو أنه يحلم بامبراطورية فسيحة في مملكة القلم، جناحاها الأدب الغربي وقلبها رسالة العروبة.

ورأى الناس كذلك كتباً صغيرة مترجمة بقلم معروف الأرناؤط لطائفة من الكتاب الفرنسيين أمثال : (فرانسوا كوپيه ، وتيوفيل غوتيه ، واسكندر دوماس ، والفريد ده موسه ، وجان دارمي ، وميشال زيفاكو) تحمل عنوانات مغربة : (حرب المئة ، الستار الأسود ، الصيقلي الشريف ، الطفلان الشريدان ، ديانا ، عذاب الضمير ، تقريع ضمير الملوك ، لادام أوكاميليا ، الابنة الملعونة ، أسرار رومية ، عواطف الإخاء ، روجه لاهونت ، لادام دي مونترو) . ورأوا كذلك كتباً صغيرة أخرى لا يتجاوز الواحد منها في الغالب أكثر من ثلاثين صفحة هي : (عمرو بن العاص ، الحرب في طرابلس ، أدرنة في النار ، الجاسوس الياباني ، الجريمة السورية ، الأخرس القاتل ، ابنة البحري ، نيويورك الخفية ، تاريخ الأدب في الجيل التاسع عشر ، القاهرة ، وهي أكثرها روايات وأقاصيص مترجمة لا تحمل اسم المؤلف الأجنبي ، ولا تثير في الأدب إلا فكرة التسلية والمطالعة والمحاولة ، نُشر بعضها في دمشق وبعضها في بيروت . وكانت هذه الكتب سبيلاً الى تمرُّس الشاب باللغتين ، وحبه للترجمة وعكوفه عليها ، والاستفادة من خيالها وأساليبها .

وتلفت الشاب الى المسرحية ، فعمل فيها وشارك في التمثيل فسافر له . وفي بعض أسفاره ، صحب سيدة فرنسية الى المعرة ، فلما وقف على قبر أبي العلاء آنذاك استصغر العناية بالقبر ، وهزّه الشمم الى الفخر ، فقد أخذت المرأة على العرب إهمالهم لسيد الحكمة الشعرية في القرن الخامس ، لذلك أنشأ رسالة سماها (فردوس المعرّي) سنة ١٩١٥ ، طار فيها على أجنحة الخيال ، فطاف بالأولمب ووصف آلهة الشعر في اليونان ، ثم حطّ رحاله بالبانثيون في باريس ، ونقل لنا قصائد للشعراء الفرنسيين ، وسأل عن موقع المعري بينهم وذرف الدمع أسى حين وازن بين إكبار الغرب لشعرائه وإهمال الشرق لأدبائه .

ولما وقعت الحرب الكبرى وسيق العرب الى المعركة ، حمل الشاب بين الجنديين

برتبة معاون ضابط ، ونقل الى استانبول ، وفيها عاش عيشة الأدباء ، فكتب بعد عشرين سنة يسترجع الذكرى بأسلوب شاعري يقول فيه :

« في صيف سنة ١٩١٦ ، ألقت بي حظوظي الى مغاني استانبول ، وأرادني قدري جندياً من جنود الحرب الكبرى التي روعت العالم قاصيه ودانيه ، فارتضيت ما لا يرتضيه العمر الطري الجني ، وفزعتُ الى منزل صغير في ضاحية (فناربولى) على الشاطئ الوارف في بحر مرمرة الهادئ ، وصحبت معي الى المثوى الذي اشتمل عليَّ كتاب الله وسيرة نبيه ، وقد حملتهما أمي إليَّ ساعة سفري ، وأوصتني بالرجوع اليهما في محني وكوارثي ، وأمّلتْ أن أفيء اليهما بعد اغتراب ، ودعت لي والذين يحاربون ويناضلون » .

سادتي ،

أطلت القول في مسارح الطفولة والشباب ، وألححتُ عن رضاً في ذلك لأكشف عن أثر هذه المواطن فيما خلّف معروف الأرناؤط من آثار أدبية . فقد كان رحيله الى استانبول ، وطوافه في مغاني عاصمة البزنطيين ، واستسلامه للغربة ، وشعوره بعاطفة الدين هي التي أقنعته بعظمة الفتوح ، وردّته الى شيء من الإيمان حيناً من زمن فاستيقظت فيه فكرة الرواية وتحرك عنده خيال الفخر والاعتزاز .

فالشاب إذاً مدينٌ لينابيع ثلاثة في أدبه هي : المدرسة ، والوالدان ، والرحلة .

أما مدرسته فقد تلقن فيها وتعلّم ، فأهدى أول كتبه اليها معترفاً بجميلها قائلاً : « الى تلك الامّ التي أرضعتني من ثديها لبان العلوم ، الى الأم الجامعة بين الاخاء والمساواة والحرية ، الى المدرسة العثمانية مهد المجد والعلم » .

وأما والداه فقد كتب فيهما يقول : « فاني لأحب أن تفلت خواطري فتجفوَ أودية دمشق وتطيرَ الى ذلك البحر الأزرق الجاثم على قدميَّ ببيروت ، وتفتش في نواحي المدينة التي خلفتُ فيها طفولتي ومراكض شبابي عن قبور هؤلاء الذين

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحبتهم ، وفي هؤلاء أمي وأبي » . وقال يذكر يد أمه عليه : « يوم كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه » . وحنّ الى أبيه في استانبول فقال : « وأروح ناظراً الى صورة لأبي معلقة على الجدار فيؤنسني أن بهذه الصورة عينين شاخصتين إليّ ، وأن فيهما رقةً وعذوبةً ورحمةً ورضا ، كأنهما كانتا ترسلان إليّ في طريق حياتي ذلك النور الأقدس الذي يضيء قلب المغترب النازح ، فيرى العالم السابح في ليل مآسيه ، كأنما هو قد اكتظ بالضحك ، ونفض عنه أشباح قتلاه .

وأما رحلاته فقد بدأت منذ طوّفت عيناه في السماء والماء ، والصخرة والخضرة ، والزهر والنور ، والسحر والعطر ، وحين تفتح قلبه للشباب وركضت أحلامه في الصبا ، سواء في بيروت واستانبول أم في العراق ومصر وبوادي الشام . وقد كان خياله يطفح بهذه الصور جميعاً فتسيل على قلمه ، وتكتسي بالظلال والألوان ، وتتضمّخ بالطيب والعطر ، فترى فيها الزوارق والقوارب تختلج أمام عينيه في بيروت ، وتسمع الأنغام التي كانت تنصب في أذنيه وهو في بيته الربفي باستانبول ، حيث يقول : « إن هذه الليلة الساجية قد ابتعثتني على كتابة أول أشعاري في الاسلام ، في استانبول على الشواطئ الهادرة ، – التي لم تشقها سفن أمير المؤمنين معاوية ، ولم تبلغها سفن مسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد ، فجازتها جيوش محمد الفاتح – ارتجّ الاسلام في قلبي ووأد أنشودة اسمها (سيد قريش) وانها لحادثة رائعة أتمهـا الله على يديّ ، في زمن مسحَ فيه انتصار القوي الحدود الجغرافية ، واستعبد الأمم الصغيرة ، وطوى حرياتها ، وفصل بين غابرها وحاضرها » .

وهكذا يعترف الرجل بأثر الرحلة في نفسه ، وقد رأى فيها مشاهد غريبة ومناظر جميلة ، وألواناً مختلفة من ألم وأمل وسعادة وبأس ، فخطّ ريشته فيها وكانت هذه الآثار التي خلّفها شاهداً على رقة حسه وجميل شعوره ودقيق خياله .

وأروع ما في الرحلة مُقامه في استانبول وبقاؤه على قُربٍ من الحرب يسمع أنباءها ويحس أخطارها في عاصمة الخلافة ومركز القيادة، وقد رأى الغرب فاغراً فاه لابتلاع الشرق وتحطيم تيجانه وإذلال جيوشه وقواده، بعد الفتح الكبير والسلطان الواسع، ونظر الى العثمانيين من زاوية الدين والرابطة المذهبية وظنّ فيهم حماة المجد السالف وتتمة التاريخ العربي، فآلمه انكسارهم وهمّه تقلص الدولة العثمانية، فقال يصف أثر ذلك في نفسه: «ولقد خرجتُ ـ من الحرب ـ وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهمّ وكثيراً من الشعر، فأما الهمّ الذي حملته فلقد سرب الى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحبها ومن اخفاقها في جني ثمار كدحها وجدها».

ولعل نفس الأرناؤط تأثرت خلال الحرب بالدين، فلاح له التقى عن سبيل الخوف، وانصرف عنه الورع حين انقشعت سحب الحرب، فهو يقول واصفاً تلك الحقبة التي قضاها في قريته قرب استانبول: «من ذلك اليوم الذي لا ينسى ذكراه أبناء هذا الجيل المروّع ما جئوتُ محراب القرية خلال صباح وخلال مساء».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حاول الكاتب من غير شك أن يضع مذكرات لحياته يصف فيها هذه الرحلة والمشاهد فاذا به يصبها في رواياته ويختفي خلف الشخصيات التي يبدعها قلمه، ولو أُتيح له أن يفعل لنافس روسو في اعترافاته. وقد استفاد من الرحلة والأسفار ثقافةً واطلاعاً، فمالت نفسه الى التواضع، وجنح قلبه الى البساطة، ونظر الى الدنيا من خير وجوهها، وفهمها من أبسط مسالكها، وضحك لها واستخف بها كما فعل الشعراء العباسيون في عهد الرشيد، أو كما يفعل شعراء الفرنسيين المتحررين بباريس، فعشق اللهو، وأحبّ الحياة، وألف الدُّعابة، وكان أصدقاؤه يحاربون به الغمّ في المقهى، ويطردون به الحزن في الملهى، وكانت مجالسهم معه تفيض بالسرور والنكتة، حتى لكأنه أشعةٌ تبدد ظلمات النفس، وريحٌ تعصف بالكدر. والذين يعرفونه يروون له النكت الغريبة

وقد وقعت له في صفوف العامة أو قصور الملوك أو بيوت الوزراء أو دوائر الحكومة والصحافة، في مختلف العواصم العربية، فقد عُرف الرجل بالضحك الساخر، والاستخفاف النادر، والكلم السافر، وعاش أبداً في شباب العمر، يضحك قلبه ويفجّ لسانه، لا يعرف من فصول الحياة إلا الربيع، ومفاتن الربيع! سادتي،

لعلكم معي في أن المدرسة والبيت والرحلة تعاونت في أدب معروف الأرناؤط وبدت واضحة في كتبه، فقد نشأ في عُباب الدعوة للعروبة في بيروت، وعاش في ريف العاصمة العثمانية على مشاهد فاتنة مبدعة تضطرب بين الحرب والحب والجمال والايمان، فعاد القهقرى بذكرياته الى هؤلاء الأجداد الذين أخضعوا الشرق وبلغوا البحر الأسود ومُلك كسرى.

وانكسر العثمانيون فاحتضنت دمشق ملكاً عربياً، ونصرت عاهلاً قرشياً، وطمحت الى مكانها القديم من مجد الخلافة حين كانت ترسل الإشعاع والأمان الى ربوع نائية بعيدة. فاجتمعت كلمة الدعاة الى العروبة في دمشق، وتقاطر اليها مَنْ يسير وراء الصولجان ويمشي خلف السلطان، وفيهم هذا الشاب معروف الأرناؤط؛ فقد أعلن بلسانه ذات يوم أن البيت الهاشمي امتداد لقريش، وأن ربوع دمشق ظلٌ للغساسنة والأمويين، فآثر أن يعيش في ظل الأمجاد كما يقول، وأن يربق قلمه في مفاخر الأجداد كما يردّد، فسكب روحه في حبّ دمشق، وسالت نفسه شعراً حين تحدّث عنها قائلاً:

«أي دمشق، لقد قرأتُ تاريخكِ الماضي، وأصغيتُ وأنا أتحدثُ الى حُماته ورُعاته إلى خفق ألويتك واهتزاز راياتك؛ ثم رأيتك تجتازين البحارَ والخلجان والمدن الكبيرة عظيمة كالشمس قوية كالخلود، ثم رأيتك تنخلين عن البحار والخلجان والمدن لتعيشي في جناتك فما استهواني من هذه الصور المتنافرة غير آلامك وغير جراحاتك، فأنتِ على ما بك من الألم أشدّ فتوناً من كلّ

مدن العالم وذلك لأن روحك لم تهرم ، فهي لا تزال فتية كأنها ولدت ليلة أمس » .

لذلك طلّق الأرناؤط بيروت الى غير رجعة ، وسكن دمشق أبد العمر فقطن في قلب المدينة بسوق الحميدية ، وراح يعمل في الصحافة ، فأنشأ مع عثمان قاسم ورشدي ملحس جريدة الاستقلال العربي سنة ١٩١٨ ، فعاشت شهوراً ولقيت حتفها ، ثم أنشأ مجلة العلم العربي للأدب والشعر عام ١٩١٩ ، وانصرف بعدها الى جريدة جديدة بدأ بها في سنة ١٩٢٠ ، وظل يعمل لها طول حياته .

وفي مكتب الجريدة المتواضع ، أو خضم المقهى بين النرد والدخان كان الكاتب يقضي نهاره ولياليه ليظهرها على الناس في أسلوب عربي تحمل في غرتها الشعر الرائع والمقالة الضخمة لأدباء العراق أو كتاب مصر والشام أو شعراء الغوطة والنيل ، فتقع فيها على أسماء الأعلام المعاصرين ؟ وفيهم : العقاد والمازني وهيكل ودياب ، وشوقي ومطران والعجلاني وشكيب أرسلان وشفيق جبري ، ذلك لأن صاحبها يرى الرأي للأدب قبل السياسة والاجتماع ، فكانت وحدها بين الصحف تحمل طابع الجبة الأدبية والجريدة السياسية جميعاً .

وكانت هذه الصحيفة خلال ثلاثين عاماً موضع همه ومسرح قلمه ينصرف إليها ويصرفها ، ثم ينصرف عنها لتحبير كتبه وانشاء قصصه التاريخية . وكان الى اهتمامه بقلمه يلتفت الى أولاده الثلاثة فهم خليفته في الأرض وامتداده في الدنيا ، وفيما عدا ذلك كان يقضي ساعاته مع الكتب العربية والغربية لا تفارقه ولا يفارقها يقرأ ويقرأ ثم يكتب وينشئ في كل مكان ولكل مجلس حتى أخرج ملحمته الكبرى - كما كان يحب أن يسميها - وهي تتكون من أربعة كتب : سيد قريش ، عمر بن الخطاب ، طارق بن زياد ، فاطمة البتول . وقد أظهر بين يديها مسرحية عن الأندلس عنوانها (ابو عبد الله الصغير) جعلها للتمثيل المدرسي ، وطبعتها المدرسة الفاروقية بحلب سنة ١٩٢٩ .

وهذه الكتب الأربعة تمثل جهد الكاتب الغنائي والقاص الابتداعي ، وهي التي أفردته بين الكتاب لزمانه وجعلت له أسلوباً خاصاً ومكاناً حسناً في خيالها وأسلوبها وفي موقعها من الأدب والقصة التاريخية .

وهذه الكتب من طراز متفق تحوم كلها حول التاريخ العربي خلال عصوره الزاهية الأولى ، صوّرها الرجل في قالب القصة ، فرسم فيها المدن والجبال والأودية على تقلب العصور وفي مختلف الألوان والأخيلة الأدبية ، يريد أن يقرّب البعيد وأن يلوّن القريب ، لعل القارئ يلمس العرب على أربعة عشر قرناً بيديه ويسمعُ حديثهم الرفيع أو كلامهم العادي .

ويمتطي « معروف » الى هذا كله قراءاته المتعددة من كتب المستشرقين ومصادر العرب الأقدمين ، يريد أن يوطئ أكنافها ويذلل اختلافها ، فيسهل ويلين حتى يجنب القارئ أغوار الفكرة وأعماق الفلسفة ، فهو يؤثر الراحة والبساطة وقرب الآفاق ، فيوفق حيناً في القصة ، ويُخفق حيناً .

وهو يدور في كتبه هذه على إكبار العربي ، والتغني بحضارته ومدنيته وحرّيته ، فيرى في قصوره نعمى الحياة ترقص نشوى ، وأغاني المجد تهتز سكرى ، لا تنقصه الا صرخة الوحدة ، واجتماع القريب الى القريب ، فلما جاء سيد قريش حقق الأماني وعزّز الرابطة فانتفضت امبراطورية عريضة ، وكُتبت أمجاد خالدة على صفحة الشام وجنبات العراق ومصر وافريقية ، جعلها المؤلف مراتع أبطاله ومواطن رواياته ، فعطّر هذه المرابع وكسا التاريخ بثياب القصة .

وقد طوى (الأرناؤط) في سبيل ذلك عشر سنين كانت تآليفه فيها على تفاعل متصل وولادة متتابعة . فقد أظهر سيد قريش سنة ١٩٢٩ ، وهي في ثلاثة أجزاء عرّج فيها على الشام قبل الميلاد فرسم عيشها ونحت قصورها ، وصوّر العشق فيها والغزل ، ونقل الينا ما وقع بين العرب من حديث وما جرى لهم من معارك ، وُعني بالشعراء الذين توافدوا على الغساسنة أو الذين اجتازوا

بالشام الى قيصر ، فكتب في حسان بن ثابت وزيارته مع أبي سفيان وأمية ابن أبي الصلت ؛ ثم قصّ علينا حكاية امرئ القيس ورحلته الى القسطنطينية وسفر ابنته اليها في سبيل الإرث والانتقام . فوصف الطرقات والقصور ، وسرد قصص الهوى والغزل ، وأحصى دقات القلوب ونلفت الأجياد وهمس العيون ، واتخذ سبيله الى التاريخ الأدبي حيناً ينقل عنه ، وحيناً الى الاختراع القصصي يستوحي منه ، وكتب خلال هذه الأجزاء الثلاثة سيرة النبي الكريم وما كان من علائم بعثه ورسالته ، وما نُقل في التاريخ من أحاديث الرهبان .

وفي الكتاب صور نقلها الأرناؤط ، عن مشاهداته كما رآها بنفسه فرسم القسطنطينية وكنائسها القديمة ورسم حوران ودمشق ، وفيه كذلك عرض لمصادر التاريخ والأدب نقل منها جميعاً ، ووازن بينها جميعاً ، فتراه حيناً يترجم عن دوسو ونولدكه وبرسفال وهوار وسديو ، وحيناً ينقل عن أبي الفداء وابن الاثير والطبري وكتب السيرة والأغاني والعقد الفريد وكتب الطبقات .

ثم أصدر كتابه « عمر بن الخطاب » سنة ١٩٣٦ في جزءين اثنين ، أولهما ليالي شاعر ، والثاني فرسان سيد قريش وأعلن عن الثالث والرابع ولكنهما لم يصدرا . وقد زار الرجل العراق وتعرّف الى الأماكن التي كانت ميداناً للصراع في سبيل الحرية بين الفرس وعرب العراق بعد أن زار سهول الأردن وجبال فلسطين ، وتوغّل في صحارى سيناء وأشرف على طلول النَّبَط في مفاوز سلّع لكتابة الجزءين الأولين . وخرج من ذلك بوصف تدمر وبصرى ومدن شرقي الأردن وفلسطين . ورسم حب شاعر لفتاته ، وطفولة ابن الخطاب وموقعة مؤتة ، واستعان بأساليب اليونان والفرنسيين في الحديث عن الحب وفي قصائد الغزل ، فبلغ الأجواء العالمية في الأدب .

وفي سنة ١٩٤١ أصدر كتابه « طارق بن زياد » وصوّر فيه أفريقية والأندلس والعرب والبربر والحب والجمال ، وأراق من هذه الخمور على أفواه

الأبطال ما يسكر ، وجعل من هذه الملحمة الأموية لوحة خالدة لجهاد العرب في سبيل العقيدة والايمان والإخاء والاتحاد ، وانتقم من الكتاب الأجانب فأصلح ما أفسدوا من حبٍّ بين مغيث الأموي وفلوريندا الاسبانية .

وفي سنة ١٩٤٢ أظهر كتابه « فاطمة البتول » تحدَّث فيه عن يزيد بن معاوية وموقف الحجاز من البيعة ، ونضال العراق في جانب الحسين السبط ابن فاطمة البتول ، وقد خلَّف لنا لوحات بارعة عن الأسرة والأم والولد ، تصف لنا الحنين والحب والجزع والوداع الى لوحاته في القتال بين جيش الحسين وجيش شمر بن ذي الجوشن ، وما كان من ضحايا في العرب وبشاعة في القتل ، ووحشية في التنكيل .

سادتي ،

هذه هي بعض الموضوعات التي طرقها في كتبه قد نقع على مثلها في كتب غربية وشرقية تسدد الهدف وتبلغ الغاية وتوضح التاريخ ، ولكنها لن تبلغ من نفوسنا ما تبلغ كتب الأرناؤط ، ذلك لأن الرجل يمتاز بأسلوبه الفذ ، فهو يكتب على الورق كما يكتب الربيع على الطبيعة فيورق ويزهر ويعطر ويسخر ، ويضحك ويبتسم ويغني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة ، فتقع على حلو اللفظ وضاحك المعنى وعاطر الصورة ومجنح الخيال ، تتسابق الألفاظ المدوية ، والعبارات الضخمة ، والكلمات المختارة ، بين السطور ، كما تستبق الفتيات الى عرس فتزغرد وتصفق وترقص وتنثني وتسكر ، ثم تخلف هذه الموسيقا التي تبدو للسامع عنيفة حيناً هادئة حيناً آخر كالطبيعة نفسها ، أو كالموصوفات عينها ، يصف المعركة فتسمع القعقعة والدوي ، ويرسم الليل الساجي فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصور المحبين فتحس الثغور والصدور والقدود تلتقي وتنفصل ، كأن عصا سحرية قد حركت المشهد وقادت المنظر ، فاتصل سحر السماء بالحديث ، وانتقل عطر الزهر الى المرأة ، وحملت الملائكة الى المحبوب فضائل الرجال وخصال الأبطال .

كلُّ ذلك في كلمات جُمِعت للكاتب وجُمعت طوع يديه ، يصففها ويرصفها لتحلّ في المحل المناسب ، وتقع في الموقع الرضي ، فلا تكاد تنبو لفظة إلا في القليل ؛ فكأنه يقول الشعر من غير قوافٍ ، أو كأنه يرصف الدر في السطور من غير أن تحس له تصنعاً كثيراً أو تكلفاً ممجوجاً . والغريب أنك لا ترى عليه آثار التعب والارهاق فهو يكتب الصفحات كما يكتب السطور ، يسيل قلمه بالكتب هداراً كالشلال يرغي ويزبد عند مسقطه ، فاذا سار صفا وسكن ، وتقلبت على وجهه صور السماء وظلال الأحياء ، ولذلك كتب فنال في الأدباء مرتبة الكاتب المحلق والأديب المسترسل ، وقد امتدحه لذلك شاعر القطرين خليل مطران ، وقال فيه العالم الأديب الدكتور منير العجلاني يصف « روعة إنشائه المشحون بالعطر والصدى واللون » ، وكتب فيه صفيه الأستاذ الكبير شفيق جبري عميد الأدب في الشام يرسم ذكرى ثلاثين عاماً معه يقول فيها : « كان يحبُّ في فنه الألفاظ الحلوة المرحة الضاحكة ، ويحرص على هذا الشكل من اللغة ، وما أعرف كاتباً اجتمع له من حلاوة الألفاظ ومرح اللغة وبشاشتها ما اجتمع لحروف الأرناؤط » .

وهل تريدون مني شهادة بالأسلوب ورأياً في الطريقة وبياناً لهذه العبقرية بعد بيان العميد وشهادة الشاعر والعالم الأديب !! . .

سادتي ،

عرضتُ طويلاً لهذه الكتب وحللتها في خطوط كبيرة لأبرهن أن الرجل كان أبداً في تطور مستمر وتقدم دائم في انتاجه ، وقد اكتفيتم من هذا الروض الجميل ببرعم واحد هو « سيد قريش » فمنحتم صاحبه لأجله سنة ١٩٣٠ مكاناً بينكم في المجمع ، وكسوتموه بذلك جناحي لقب كان يطير به في آفاق العربية مزهواً معتزاً .

ولقد رأيتم أنكم كسبتم جندياً في صفوفكم ، ناضل في العربية الفصحى حتى وقع في الجزالة ، وعمل للتاريخ القومي حتى أدّى الرسالة ، وظلّ يحلّق ويحلّق حتى كان في الخالدين ، فسلك سبيل الكتاب العالميين وعرف ذلك لنفسه فقال أثناء خطبة له في بغداد يشرح فنه وأدبه :

« وإنما أنا كاتب قصة يصانع ذوق عصره كما يقول بعض الناس ؛ ورائد أموات كما يقول بعض ؛ أدخل الى المقابر وأشقّ الحجر الصالد ، وأزيح التراب الغامر ، وأبحثُ عن أولئك الذين طواهم ليلُ الموت في غسقه حتى اذا أطلتُ على الرُّفات الطحين ، رأيتُ بعينيَّ المضيئتين المتحركتين الى عينيه السادرتين ، وفتشتُ في صورته عن الطيف الذي أحبه فتسرقتُ صوته ، وسكرتُ من لحونه ، أو تقصصتُ أثره ، واستوقفته وتحدثتُ اليه بلغة يعافها الأحياء من الناس ، وتنبو عنها أذواقهم ولاتسيغها أفهامهم ، ذلك الطيف الهالك هو الماضي ، ولستم بناكريه ، فانه الجسر الذي جازته قوافل أبنائنا في ذات نهار ، فلعلنا لا نعجز عن اجتيازه ، ونحن نشق الطريق الى ذلك الغامض المظلم ، الذي يسمونه المستقبل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا هو فني وذلكم أدبي ، ومن عناصره : الحزن والألم ، والمجد والشهرة ، والحب والحرب ، والشعر والزَّهر ، والنغم المائع » .

وهذا تحليل طيب لما وصل اليه الكاتب في فنه ، فقد بلغ منزلة في القصة التاريخية تعلّق بها قبله جرجي زيدان في رواياته التاريخية ، وحلّق فيها بعده الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة . ولو أُتيح للرجل تفرُّغ لزادنا روعةً وجمالاً ، بل لو أُتيحت له حياة مديدة لزادنا كتباً وآثاراً كانت في جعبته وراء خياله ، فقد قال في صدر كتابه عمر بن الخطاب : « لئن بقي في الأمل طول ، وفي الأجل فسحة ، فسأكتب كثيراً ، وأصوّر كثيراً ، وأغني كثيراً » ، وقال بعدها : « وإني لأرجو الله أن يمدّ في أيامي ، فلعلني

أقول هذا الشيء الكثير على فمي ، ولعلني بعد هذا كله أفيء الى ظل هـذه الأرض الحادبة ، فأستريحَ اليها بجوار أمي في حفرة تنديّها السحب ، وترفقها هذه الأزهار التي جمعتها في أسفاري من سيناء ومكة ومن بوادي الشام والعراق ؛ ورحم الله أمي ، فلقد حسرَتْ عن بصري ، وأرتني دنيا محمـد رسول الله ودنيا صحبه ، ووهبتْ لي مجد هذا اليوم الذي أنا فيه » .

ولكنّ هذا العمر كان قصيراً ، وهذا الأجل كان مبتوراً ، فقد توفاه الله في الساعة الثانية من صباح الجمعة في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ عن عمر لم يتجاوز الخامسة والخمسين ، فرقد من دمشق التي أحبها بمقبرة الباب الصغير ، بعد أن عمل على أرضها ثلاثين عاماً ، فكأننا نحتفل اليوم بمرور ستّ سنوات تماماً على وفاته ، أو كأننا نؤبنه ونرثيه بأحسن فضائله وخير ما فيه .

* * *

سيدي معالي الرئيس ،

سادتي حضرات الأعضاء ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه صورة لحياة سلفي أرادها التقليد المجمعي ، فوضعني في تجربة دقيقة ، لأني رأيتُ الرجل مرةً واحدةً لم ألقه بعدها أبداً ، فرحت أقرأ على أوراقه ، وكتبه ، وصحفه ، ومقالات أحبائه ، وتناولت آثاره كما أتناول علماً من الأعلام مرّت عليه القرون وانقضت عليه الأجيال ، فكم أتمنى أن أبرأ من الخطأ في تحليل حياته ، والحكم على شخصيته وأخلاقه .

ولعلّ كثيرين منكم يبتسمون لهذه الأحكام وهذا التحليل فأنتم تعرفون أكثر مني ما كان عليه من عيش خاص ونكت سائرة ، ولكنّ هـذا كله لا يغير من الخطوط الرئيسية التي رسمتها في تحفظ وبنيتها على نصوص وشواهد من أقواله . والميت قد يبعث في الأفواه أحكاماً غريبة كما يقول ثماليري ، وقد يحرّك الأحقاد القديمة والأشياء التافهة مما يعلق بحياة أيّ كائن من الناس

في محيط ضيق كالذي عاش فيه الأرناؤط . ولكنّ اللّغط يزول ويبقى السحر الحلال ، وفي التراب كثير من مواد حقيرة ، لكنّ فيه الذهب والجوهر .

وسواء أوقفتُ عند الجوهر أم وقعت على العرض ، فأنا أدرس المؤلف بلسان الأجيال المقبلة وقد خلف لها كتباً كبيرة وصغيرة ، ومقالات ، وترجمات ، الى جريدة عاشت ثلاثين عاماً ، في بيان متدفق وأسلوب جميل ، فماذا يقولون فيه اذا قسموا أيام العمر على عداد السطور التي كتبت خلال خمسة وخمسين عاماً ؟ ! أظن انهم سيقولون فيه : إنه ما فتر عن الكتابة ولا وهن عن القراءة ، ينظر بعينين نافذتين ويقرأ في لغتين غنيتين ، ويستفيد من أدبين واسعين على خلاف أقرانه وزملائه . اللهم إنهم سيحمدون له العصامية ويشكرون له الصبر والدأب ، ويذكرون له براعة الأسلوب وسيجدون فيه خلفاً لخير سلف .

ولعلهم سينحنون أمام روحه كما نفني اليوم أمام هذه الأرواح التي خلدت أمجادنا الأدبية وصنعت عبقريتنا الثقافية ، وسيلتفتون اليه كما نتلفت اليوم الى الأجداد كلما عضنا الزمان وافتقرنا الى المفاخر ، فليس إكبار الآباء من وثنية الأدب وانما هو من واجب الحضارة يُبقي فيها الطارف على التليد والجديد على القديم ، ومجمعكم وقف نفسه على احترام التراث . فسعى الى جلاء القديم في ثوب جديد اظهاراً للمجد الموروث والعز المكتسب ، وحثاً للهمم الشابة على القدوة الحسنة . ولهذا كان مجمعكم المعقلَ الفذ للدفاع عن لغتنا وتاريخنا ، والحصن المنيع للحفاظ على آثارنا ؛ فقضى كثير في سبيل رضاه ، وقضى كثير قبل أن يبلغ منه مناه ، ولهذا كان تفضلكم بانتخابي عضواً بينكم شرفاً عظيماً لي ، لأكون في سدنة هذا البيت وفي العاملين لحمل أعبائه الكبيرة على أسس من الصبر في العلم ، والجهاد في البحث ، والاخلاص للهدف ، فأشكركم خالص الشكر لهذا التشجيع وأدعو الله أن يبارك في عملكم وأن يأخذ بأيدينا الى النجاح وأن يحقق بأعمالنا أمل الوطن واللغة والأدب ، والسلام عليكم .

الدكتور سامي الدهان

كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

زميلنا الكريم ،

عهد إليّ مجمعنا العلمي الردّ على كلمتك الرقيقة التي أودعتها عاطر الثناء على هذه المؤسسة العلمية الفتية التي دعتك اليها وعلى ما وجهته من شكر الى أعضائها لضمك الى عداد أسرتهم .

لا يتمّ عزاؤنا يا صديقي العزيز بفقد أي زميل الا اذا عوّضنا عنه بخالف مثله أو خير منه يحيي بيننا ذكراه ويواصل مسعاه ، فكنت أيها الزميل الكريم خير خالف لفقيدنا معروف الأرناؤط تغمده الله برحمته ، وقد وفيته بحثك حقه وأديت نحوه واجب الزمالة ، وكان لحديثك عنه أطيب الأثر في نفوسنا فجزاك الله عنه وعنا خير الجزاء .

ان من عرف الفقيد بالأمس وعرفك اليوم يجد فيك كثيراً من مزايا المرحوم وفضائله العلمية والغيرة على ماضي الثقافة العربية ، فقد اتحدتما في الغاية وان اختلفتما في النهج وكلاكما بحاثة وكلاكما جوال في آفاق أمجادنا الغابرة ، فأنت تعمل لإحياء نفائس تراثنا الدفين في خزائن الكتب ، وكان الفقيد ينبش من ثنايا الكتب مفاخر تاريخ العرب المجهولة فيصوغ من حوادثها ووقائعها بأسلوبه البليغ وخياله المبدع قصصاً يبعثها في دنيا العرب عبرةً وذكرى . فأديتما لوطنكما بعمليكما أجل خدمة علمية وقومية ، وأيّ غاية أنبل من وصل حاضرنا المكلوم بحقيقة ماضينا وعزته .

سادتي ،

يتعذّر على المرء مهما سمت مداركه وعظمت مواهبه أن ينطلق في عمله من

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان .

العدم ، بل هو يحتاج كأي صانع بسيط لعدة ومادة ، وعدة المشتغل بالعلم هو ذاك التراث الذي خلفه لنا السلف لننتفع به في يومنا وغدنا .

ان من الجحود أن نزهد بماضينا وأن لا نتطلع الا الى حاضرنا ومستقبلنا وأن نعرض عن حقائق الماضي ونعلق مصيرنا بأوهام المستقبل . ان المستقبل يا سادتي ليس هو من صنعنا ولا يأتينا بشيء، ولا يمنحنا شيئاً من عنده بل يتطلب منا في بنائه كل شيء ، ولولا نفحة الحياة التي نستمدها من معين تراثنا الذي تمثلـه نفوسنا وكيفته ظروفنا لما وجدنا من واقعنا ما نغذي به مستقبلنا لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فمن الاثم إذن أن ننتقص قدر ماضينا ونعمل على هدمه بأيدينا ، وأن نصانع القائلين بأن التغني بالماضي والحرص على احيائه حركة رجعية يجدر التحرر منها ، وشر ما بذرته الشعوبية في نفوس فئة من أبنائنا هي فكرة الفصل بين غابر أمتنا وحاضرها لإخماد نور هذا النبراس الذي نتلمس على ضوئه إحكام بناء مستقبلنا ومشا كنا . لقد أجمع العالم بأنه لا يوجد أي منافضة بين الماضي والمستقبل ولا يمكن عزل بعضها عن بعض ، فالحاضر هو امتداد الماضي كما ان المستقبل هو وليد الحاضر ، وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر ، والشعوب الناهضة هي التي تحيي دائماً بروح تاريخها ، وتاريخ الأمة هو وحدة لا تتجزأ كما ان الطبيعة البشرية لا تتبدل في فضائلها ونقائصها ، وحوادث التاريخ حافلة بشواهد ما انطوت عليه غريزة الانسان من خير وشر .

سادتي ،

ان كانت الظروف لا تتكرر والأحداث لا تتشابه فان عواملها عند الانسان لا تتبدل ، ونتائجها واحدة في كل زمان ومكان وقد أسفر عنها بعد تجارب طويلة وضع قوانين تاريخية هامة وتقرير قواعد اجتماعية يصعب علينا التنكر لها وخرق حرمتها دون أن نعرض مجتمعنا الى التصدع والانهيار ، ولا يمكن توحيد مثلنا العليا والالتفاف حولها وتوجيهها كما يفرضه علينا اخلاصنا

لوطننا ورغبتنا الصادقة في اعلاء كلمته الا بمعرفة ماضينا من جميع نواحيه وعندها نستطيع تقدير عزيمة السلف والاعتزاز بما حققوه من جلائل الأمور بوسائلهم الضعيفة وامكانياتهم المحدودة وقتئذ ، فمن العجز ان لا نقتفي أثرهم ولا نعمل عملهم والوسائل عندنا اليوم متوفرة والامكانيات جاهزة والعزائم ان شاء الله صادقة .

إن أبرز ما يتحلى به زميلنا الجديد الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية ، ولذلك رأيناه يتحول عن التأليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة والتنقيب في خزائن كتب الغرب والشرق يحصي نفائسها ، ودأب على تحقيق أنفعها ونشرها خدمة للعلم ووفاء لمؤلفيها . ولا نستغرب منه هذا الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه وفضله على سواه وهو من تلاميذ بقية السلف الصالح الشيخ بدر الدين النعساني والشيخ راغب الطباخ من أعضاء مجمعنا رحمهما الله ، وهما كما تعلمون من أوسع الناس اطلاعاً على تراث السلف وأشدهم غيرة على بعثه ، ولا أريد أن أتوسع بالكلام عن زميلنا الجديد إذ ليس هو بغريب عنا فقد عرفناه جميعنا عاملاً مجداً واطلعنا على انتاجه العلمي الخصب ، وسيرة المرء آثاره ، وآثار زميلنا تغني عن التعريف ، وكان رئيسنا مؤسس هذا المجمع رحمه الله من المعجبين بزميلنا الجديد ومقدراً جهوده ونشاطه العلمي ومتمنياً ضمه الينا وقد جاء انتخابنا له محققاً لرغبة الفقيد ووفاء لأمنيته . وكان أستاذنا رحمه الله يمجد الشباب ويعقد عليهم الآمال الجسام ، وكان يحب شباب العمر وشباب العقل والقلب ، وهو الذي عرف كيف يهزم الشيخوخة ويتغلب عليها في جميع أدوار حياته ، ولم تجد لروحه ونشاطه سبيلاً . وقد جمع ولله الحمد زميلنا همة الشباب وحكمة الشيوخ .

إني أيها الزميل الكريم أرحب بك باسم مجمعنا العلمي العربي أجمل الترحيب ، وإنك حللت بين زملاء لك عرفوك فقدروك حق قدرك الله آمالنا فيك ، ووفقك الله في رسالتك ونفع بعلمك بلادك .

جعفر الحسني

كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي (١)

سيدي الرئيس ، سادتي الزملاء ،

لا أزال أذكر منذ عام ١٩٢٢ إذ كنت طالباً في المعهد الطبي ، كلمة الرئيس الراحل طيب الله ثراه يوم قدم للترحيب بوالدي رحمه الله ، الذي نزل دمشق آنئذٍ مع رئيس دول الاتحاد بقوله لي : (سنضم الينا مسعوداً عضواً عاملاً) . بهذه الكلمة الصادرة من أعماق قلبه الطيب برهن على ما يكنه من الحب الصادق لأخي عبد الرحمن الكواكبي صديقه العزيز الذي كان يلهج بذكراه دوماً حتى لقد خصه بكلمة (الدم الطاهر) فأدى له حق الصداقة بكلمته هذه ، وحق الأخوة بضمه أخاه مسعوداً الى هذا المحفل العلمي الفني يومئذٍ .

ولا يزال يرنُّ في أذني : الصدى الموسيقي الرخيم لبيت ختامي من كلمة قرأها عليَّ والدي المرحوم ، يوم احتفى هذا المجمع العلمي بضم رئيسنا « الخليل » الجليل اليه وهو :

« قد ضممناك الينا واتخذناك خليلا »

بهذا الشعور منذ تلك اللحظة ـ يا سيدي الرئيس وسادتي الزملاء الأجلاء ـ ، رأيت في أفق الأمل كوكباً صغيراً ظهر وأخذ يسير ، ويطرد سيره فيرتفع حتى توسط قبة السماء .

فقصصت الرؤية على والدي فقال : يا بنيَّ ، لا تقصص رؤيتك على رفقائك ، وسيكون لك إن شاء الله شأن في مجمعنا بانضمامك الى نجومه السواطع تحت قبته .

---

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

كل هذا كان حافزاً لابن صديقكم الى العمل دأباً - من درس وتنقيب ، وتأليف وتعريب ، ونقد وتصويب - على ما يوصله الى أبواب هذا الصرح العلمي الذي توطدت أركانه وبلغ بجهود أعضائه العاملين المخلصين ، أعلى ما يبلغه محفل علمي رسم لنفسه خطته المثلى ؛ ثم الى ما يؤهله يوماً لدخوله بسلام والانضواء تحت لوائه والسير مع أعضائه العظام على سنة التدرج في الرقي ، الى هدفه الأسمى : وقد جعل ربي رؤياي حقاً ، فحققت لي بذلك - يا سادتي الكرام - أمنية طالما عللت بها النفس وقد بلغتها والحمد لله ، ولا يبلغها الا ذو حظ عظيم ، يوم صدر قراركم عن قلوبكم الطيبة ، بمحض المحبة والرضى ، بضمكم إياي الى أسرتكم . و (كل من سار على الدرب وصل) .

سادتي ، لقد انتخبتم فيَّ محباً للعلم واللغة فضممتموني اليكم عضواً يبدأ تطوره من اليوم بقلوبكم الحية ، في رواق هذا المجمع العلمي الذي تفخر به سورية العزيزة ، هذا المجمع الذي أُسس يوم أسس ليؤدي واجباً في إحياء العربية وقد كادت تندثر تحت حكم العثمانيين ، وليصل - ببحوثه واجتهاداته ونشراته - ما انقطع بين الشرق والغرب بعد تلك الحقبة من الحضارة التي حمل مشعلها العرب في عصرهم الزاهر الزاخر بالمآثر فاستضاء به الغرب حتى أصبح بقبسه منبع نور الحضارة في عصرنا هذا .

* * *

لقد جعل لي المجمع الكريم الخيار في انتخاب موضوع الكلمة التي ألقيها على مسامعكم ولقد والله (حيَّرني بذ خيَّرني) ، فمن لي (بالمختار لرد المحتار) والموضوعات التي يجمل الكلام عليها وافرة ، وأبواب الحديث عديدة ؟

هل أحدثكم عن (الكيمياء) وما كان لأجدادنا العظام (أمثال أبي بكر الرازي ، وجابر بن حيان الكوفي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم) في هذا الباب من الأعمال المجيدة التي جعلتهم بين أهل هذا العلم من الخالدين

بذكرهم الغرب بالثناء والتمجيد، والإعجاب والتقدير لأنهم كانوا حقاً بناة أسس الكيمياء بما قاموا به من بحوث استقرائية وما وضعوه من نظريات كان الغرب يعتقد أنها لم تولد إلا في زمانه هذا[١].

أم أحدثكم عن (حجر الفلاسفة) ذلك الحجر العجيب الذي يستطيع بمجرد التلامس أن يقلب المعادن الخسيسة ذهباً خالصاً، احمر وهاجاً كان وما يزال خلاب الألباب من ملوك وصعاليك، ولعب حتى بعقول بعض العلماء أمثال (باكون، وبويل، ونيوتن)، بالرغم من اكتشاف نوعه الآخر (الذهب المائع)، الغزير الينابيع الذي تتسابق للحصول عليه والاستئثار به الشركات الطامعات لا يُشبع نهمهن ما بأيديهن منه مهما كثر؟ أم أذكر تفكهةً للمسامع سيَرّ رهط من المحتالين الذين اتخذوا الشعوذة لهم ديدنا، يقومون بأنواع الاحتيال لسلب أموال الناس وتحويلها الى جيوبهم ذهباً؟

أم أنبئكم عن (اكسير الحياة) - في حياة الكيمياء - وأعدد الجهود الجبارة التي يبذلها الاخصائيون الجهابذة في هذا المضمار سعياً وراء ايجاد ما فيه اطالة عمر الانسان وتخليص البشر من صولة أعدائه الجراثيم القتالة، وانقاذه من مخالب الأمراض التي تفتك به؟

أم عن أسرار (القنبلة الجوهرية أو الهدرجينية) وهي من موضوعات الساعة، يحاول الاستكثار منهـا للتقتيل والتدمير، بدلاً من الانشاء والتعمير من لا يخافون الله ولا يرقبون إلاً ولا ذمةً في صغير وكبير، ولم يقم موجدوها

(١) يقول الفيلسوف درابر الأمريكي في كلامه عن العرب وعلومهم: (تأخذنا الدهشة أحياناً عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد انها لم تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرجها في كال أنواعهـا، فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون الى أبعد مما ذهبنا اليه فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن. والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقي المعادن بأشكالها .. الخ).

بإيجادها إلا لهدف نبيل هو توفير الراحة والرفاه لاخوانهم (الآدميين) ، إذ ما من عالم يعمل في مخبره للبحث العلمي المجرد إلا لما فيه نفع لبني الانسان ودرء المصائب عنه على قدر الامكان مهيئاً له أسباب السعادة والعمران ولا ينتظر أجراً على بحثه أو كشفه لأنه انما يطلب العلم لذاته عن هواية ليس غير .

أم أنبئكم عن (الحياة) وما يكتنف تطوراتها من أسرار أعجزت الباحثين عن مفتاحها ، على ما بأيديهم من المشعل المنير ، وأعني به (العنصر النظير) الذي يهديهم سواء السبيل في بحثهم العلمي الخطير ؟

أم عن المؤتمرات العلمية التي يعقدها العلماء فيما بينهم لا يفرقون بين أحد منهم قومية أو جنسية أو عنصرية — وقد أيقنوا أن الخير في هذا الاتحاد العلمي بعد أن كانوا أشتاتاً لا يرجى من عملهم أفراداً خير — ليعرضوا ثمرات أفكارهم ونتائج جهودهم ، وليتداولوا الآراء في توحيد مناهج البحث والدرس ولغة التفاهم العلمية أعني المصطلحات ؟

وعلى ذكر المصطلحات العلمية وهو من أهم أغراض مجمعنا العلمي هـذا ، أرجو أن يتسع صدركم لكلمة لي حول هذا الموضوع :

لقد كان أمر المصطلحات ، يا سادتي ، مدعاة للأخذ والرد الطويلين بين فحول اللغة وفطاحل العلم ، كلٌّ يتمسك برأيه لا يحيد عنه . فلا اللغويون يرضون بمس قواعد اللغة بأذى ، ولا العلماء يقبلون استعمال ما يضعه اللغويون من الكلمات الغريبة المستخرجة من بطون القواميس ، وهذا ما كان نصيب الكلمات العلمية التي استأثر بوضعها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر ، على ضآلة انتاجه في هذه المدة الطويلة .

سادتي ، ماذا يضر اللغويين أن يلجأ العالم الى النحت والاشتقاق وفيهما من المرونة وسهولة الوصف والاضافة من الكلمة المنحوتة ، ما ليس في غيرهما من الأفعال ، وهما الى ذلك يجعلان المجال واسعاً في ايجاد كلمات ملائمة للغرض ،

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

ويزيلان كثيراً من الصعوبات التي تعترض المؤلف والمترجم لولاهما لبقيت دائرة المصطلحات العلمية ضيقة جداً ، خصوصاً وبعض قواعد اللغة الموضوعة ، ليس كالجبال الراسيات لا تزعزعهن الزوابع والأعاصير ؟ ولنا أسوة حسنة في المجامع العلمية الغربية . فهي تضع وتقرّ في كل يوم – نحتاً واشتقاقاً – عدداً لا يستهان به من الكلمات التي يرددها العلماء ، ويضعها المخترعون لشتى الآلات والأدوات والأجهزة في مختلف الفنون ، والمجامع العلميـة أنشئت للتيسير لا للتعسير .

ألا ترون معي ، سادتي ، الغبن اللاحق بالعربي الحديث في أحكام اللغويين القاسية ؟ لماذا يمنحون العربي القديم حق النحت والاشتقاق أو التعريب ، ويمنعون العربي الحديث أن ينهج نهجه فينحت هو أيضاً أو يشتق أو يعرّب ؟

لماذا يرضون أن يقول العربي القديم : (ماوَرْد) ، (ما زَهْر) ، (مُتَجَبْرَم) ، (حَبْرَمَة) ، ولا يقبلون من العربي الحديث أن يقول : (مَاغَوْل) ، (مَاسَلْ) ، (مُخَزْلَد) ، (خَزْلَدَة) (١) ؟

لماذا يسمحون للقديم أن يقول : (بَسْمَلَة) ، (حَمْدَلَة) ، (حَوْقَلَة) ، (تَعَبْقَس) ، ولا يقول الحديث : (فَحْمَلَة) ، (بَلْمَهَة) ، (بَلْسَمَة) ، (حَلْمَهَة) ، (خَسْفَمَة) ، (تَعَبْشَمَ) (٢) .

يتقبلون من القديم (زُرْقُم) ، (شُبْرُم) ، بزيادة الميم في آخر الكلمة ولا يستسيغون من الحديث (تَحَلْوُن) ، (تَصَفْرُن) ، (تَحَمْضُن) ، (تَقَلْوُن) ، (تَحَشْوُن) ، (تَغَوْلُن) (٣) بزيادة النون !

هـذا من حيث النحت والاشتقاق وأما من حيث التعريب والوضع فمجال

---

1) hydro-alcool ; hydro-mel; oxydo-réducteur; oxydoréduction.

2) carboxylation ; déhydratation ; détoxication ; hydrolyse ; désamination; tournesoler.

3) glycémie ; cholémie ; acidose ; alcalose . hémocrinie ; alcoolémie.

الكلام أوسع ، أخشى إن أسهبت فيه بضرب الأمثال وبيان العلل أن يعتريكم الملل ، واليكم بعضاً منها : (تَأقْلَمَ) ، (أقْلَمَة) ، (بَرْكَنَة) ، (غَزْلَنَة) ، (نَمْذَجَ) ، (مَحْفَظَ) ، (تَرْفِين) (١) ، وما كان وزان فَعَلان : (رَوَذان) ، (نَوَسان) ، (مَوَجان) (٢) . وهنالك مما يمكن وضعه وزان (مَفْعَلَة — فَعُول — فَعُولِيَّة) العدد الكثير : (مَخْثَرَة) ، (مَعْرَقَة) ، (مَهْضَمَة) ، (مَنْبَتَة) — (خَلُوص) ، (لَهُوب) ، (نَفُوذ) ، (صَبُوغ) (٣) !

والقياس ، ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي ببضع كلمات معدودات على وزن (فَعَل : رَمَد ، كَلَب) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفتي القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه القواميس فنقول : (فَيَل ، زَرَق) (٤) ، — أو نكتفي بكلمتين على وزن (مَفْعُول : مَكْبُود ، مَمْثُون) فلا نقول قياساً : (مَزْهُور ، مَسْكُور) (٥) ، — أو بكلمتين على وزن (فُعَال : جُذَام ، بُوَال) فلا نقيس به (نُهَام ، رُحَام) (٦) ؟ ألأنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدوّن في المعاجم غيرهما ؟

فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الاطلاق دون قصر أو حصر ؟

ما نفع (المتر) اذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعمّ أثواب القطن

1) acclimater (s') ; acclimatation ; dégazolinage ; échantillonner ; encapsuler.
2) mouvement de va-et-vient ; oscillation ; ondulation .
3) coagulant ; sudorifique ; digestif ; hypnotique ; extractible ; inflammable ; perméable ; colorable.
4) éléphantiasis ; maladie bleue .
5) luétique ; diabétique.
6) polyphagie ; métrite.

والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) اذا حصر عمله لكيل الماء ، ولم يستخدم لكيل الموائع كافة من زيوت وأغوال وألبان ؟

سادتي ، لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحده ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجمة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقةً ، يوم كان حياً في زمنه الغابر . فاذا كان هو أنجد الهمام لم يجبن عن التقدم الى الأمام ، فهل يليق بحفيده أن يجبن عن النسج على منواله وقد ورث الكثير من سليقته وخلاله ؟

بقليل من التساهل ، يا سادتي ، وبتنامي كلمات : (شاذ ، مستحيل ، ثلاثي مجرد ، ثلاثي مزيد الخ) في سبيل المصطلحات يتسع على العلماء مجال التعليم والتأليف بلغة عربية مبينة وتتخلص البيئة التعليمية الحالية من لغة عجيبة غريبة دونها غرابةً لسان أهل بابل ، وكلنا يعلم ان قافلة العلم تسير السير الحثيث وفي كل يوم مخترعات ومكتشفات تمد بالمئات تحتاج الى مصطلحات ، ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبة وتذليل هذه العقبة إلا بمثل هذا التساهل في وضع المصطلحات : مفردات لغة التفاهم العلمية .

* * *

سادتي ، يقفي عليَّ حق الزمالة للمرحوم الدكتور جميل الخاني الذي كان من أعضاء مجمعنا العلمي أن أشيد بجهود بذلها في موضوع المصطلحات تُذكر له بالثناء والتقدير أجزل الله ثوابه عدد قطرات المداد الذي أمدَّه .

لقد حمل العبء الجسيم في مهنة التعليم الشاقة في المعهد الطبي العربي (كلية الطب الآن) وكان أستاذاً للأمراض الجلدية والزهرية وأخلص فيها وهو بها ذو باع ، ولم يأل جهداً في العمل على ما فيه نفع لطلابه . ولما رأى أن تدريس مادة الطبيعة التي تبرع بتدريسها زيادةً عن الأمراض الجلدية

والزهرية ، يتطلب أن يكون ضليعاً في الرياضيات لم يتردد لحظة إرضاءً لوجدانه الطاهر ، في حضور دروس الرياضيات في الصوربون بباريس رغم تقدمه بالعمر ، على جهابذة هذا العلم حتى اذا ما عاد ملء الجعبة من تحصيله الجديد جعل يقدمها ثماراً يانعة ، الواحدة تلو الأخرى ، هدية ثمينة لطلابه فيستسيغونها ، ولبث كذلك بضع سنين قام بتدريس مادة الطبيعة خير قيام وألف فيها جزأين باسم (القطوف اليانعة في علم الطبيعة) لا يزالان الينبوع الفياض يرده كثير من الشباب ، وفيهما الكثير من المصطلحات .

ولم يكن رحمه الله أقل اهتماماً في مصطلحات دروسه الأصلية ـ الأمراض الجلدية والزهرية ـ وهو الإخصائي الوحيد فيها يومئذ . وما بلغ سن التقاعد حتى آثر الانسحاب من التدريس ليخلو بنفسه وكتبه ومصادره تحقيقاً لرغبة كانت تجيش في نفسه الوثابة وهي إعداد (معجم طبي) بدأ به بالأمراض الجلدية ثم رأى التوسع فيه وجعله عاماً عربياً ، فكان له ذلك عملاً أضناه ، حتى وافاه الأجل المحتوم مكباً على وجهه فوق أوراقه في غرفته ، فلفظ آخر نفس من أنفاسه زفرةً صعدها من صدره المكدود حسرةً على جهود لم يأمل ـ لإلهام باطني ـ أن يدرك ثمارها فودعها مطبقاً عينيه ليرتاح من عناء هذا العالم الفاني الذي لا تنتهي أعباؤه ، تاركاً للجيل العتيد مجال العمل لإتمام ما وصل اليه في معجمه الفريد .

* * *

وبعد ، سادتي الزملاء الأجلاء ، هذه هي (السانحة اللغوية) ، ألقيتها على مسامعكم الآن ما توخيت بها إلا التمهيد للبناء والتركيب ، وهي فيما أحسب ، خير من الحديث عن (القنبلة الجوهرية) وما تخبؤه في جوفها من القدرة الهائلة والتي إن أطلقت لم تبق باشعاعاتها المميتة ولم تذر ، وعما يكون منها من

الخراب والدمار ، وقانا الله وبلاتها وألهم الطامعين ، استخدامهـا للخير لا للشر رحمةً للبشر .

* * *

أستميحكم عذراً ، اذا شعرتم في كلماتي ومقاطعها بايقاع ليس على عذوبة الكلام المأثور أو الشعر المنثور ، وهل تنتظرون ممن قضى جل عمره بين ملاح الزئبق والرصاص ، والفضة والنحاس ، والذهب والبلاتين إلا أن تكون كلماته على الأذن معدنية الرنين ؟

هذا واسمحوا لي - سادتي الأفاضل - أن أخفف هـذا الوقع (الصادح Dièse) لا (الرخيم Bémol) بترديدي ختاماً على مسامعكم في معرض شكركم جميعاً ، قول الشاعر حافظ ابرهيم :

« شكرت جميل صنعكمو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفني على ما ذاقه ، دمع السرور »

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمة الدكتور حسني سبح [١]

سيدي الرئيس ، زملائي الأكارم

إن القلب ليطفح بشراً وسروراً وأنا أقف هذه الأمسية مستقبلاً الزميل الجديد والصديق القديم وقد سمتم ما ألقاه على مسامعكم من كلم طيب ، واذا كان للمسك أن تنم عليه رائحته ، فقد تضوّع من قول الرصيف ما دل على ما يتحلى به من غزير علم وأدب في جانب ولهه في بناء صرح لغة الضاد العلمية على أسس متينة ، مما يجعله في غنى عن الترجمة والتعريف وأن يصبح من نوافل الكلم كل ما يقال بعده ، ولكن نظام المجمع يحتم أن يستقبل الزميل الجديد من زكاه إبان انتقائه ، أما وقد قبلت التزكية مختاراً فأصبح عليّ أن أزجّ بنفسي في هذا المأزق لزاماً .

وبعد ، فان زميلنا الجديد الدكتور صلاح الدين الكواكبي هو ربيب بيت علم وفضل ، وأحد الكواكب الساطعة في أسرة الكواكبي الحلبية ، وقد أنجبت أفذاذ الرجال الأعلام أمثال العلامة الشيخ محمد [٢] وعبد الرحمن الكواكبي ومسعود الكواكبي والدكتور أسعد الكواكبي من أولي العلم والفضل ممن أدوا الى الوطن أجل الخدمات . وهو ابن زميل قديم في هذا المجمع لم يسعدني الحظ بالتعرف عليه ، ولا شك ان قدامى الأعضاء يعرفونه كما عرفته دوائر القضاء الطافحة بذكراه الحسنة طيب الله ثراه ورحمه رحمةً واسعة .

وإن هذا الشبل ما عرف عنه منذ نعومة أظفاره إلا مجلياً في كل حلبة ، إذ كان أبداً الأول في جميع صفوف دراسته من ابتدائية واعدادية تجهيزية

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

(٢) الامام العلامة الشيخ محمد بن حسن بن احمد الكواكبي مفتي حلب الشهباء المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ مؤلف (الفوائد السمية في شرح الفرائد السنية) في فروع الفقه الحنفي وبهامشه : (ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب) في علم الأصول للكواكبي المذكور الجزء الأول طبعة مصر ١٣٢٢ هـ . الجزء الثاني طبعة مصر ١٣٢٤ هـ .

وعالية ، ولم ينل من الشهادات الا ما كان منها موسوماً بجملة جيد جداً أو علي الأعلى على حد التعبير القديم .

وما إن أنهى آخر مراحل الدراسة في هذه البلاد بنوال درجة صيدلي من الدرجة الأولى ، حتى أبت عليه نفسه الطموح إلا المزيد من العلم ، فشد الرحال ميماً وجهه شطر بلاد الغرب وحط عصا الترحال في باريز وعاد الى عهد التلمذة بعد أن قضى فيها ما فيه الكفاية ، وما يعده غيره الغاية كل الغاية ، وحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة وهي على ما أظن أول شهادة ينالها سوري متوجة بجملة جيد جداً أيضاً ، وظلَّ في مخابر الكيمياء وبحث السموم يعمل ويكد ويجد حتى وجد ، نعم وجد وأبدع واكتشف أمراً جللاً في بحث السموم جعل اسم صلاح الدين الكواكبي يدوّي في الأندية العلمية ، وأن يخلد في الكتب المدرسية التي تدرس هذا الفن في جانب اسم أستاذه الذي أقرَّ له بفضل بحثه .

وما أن قضى لبانته حتى حنَّ الى العودة الى بلاده فعاد حاملاً لواء الظفر ، ولكن أنَّى له أن يجد في ذلك الحين من يقدر علم صلاح الدين الكواكبي وفضله حق قدره ، فعيّن مساعداً في المخابر ، وعوضاً من أن توسد اليه ما أهل له من تدريس الكيمياء ، أسند اليه العمل في مخبر الجرائم الذي ظل فيه قرابة ثماني سنوات ، وآن الأوان لترقيته الى وظيفة رئيس مخبر ، غير أن المرسوم الذي أعد لهذا الأمر لم ينفذ لأسباب ، وكان ان استدعته في تلك الآونة مديرية الصحة العراقية ، فسافر الى بغداد أستاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة ، ثم عاد الى دمشق بعد انتهاء عقده مع حكومة العراق ، تاركاً في بلاد الرافدين أطيب الأثر ، واندمج في سلك التدريس في كلية الطب كرةً أخرى ، وأتيح له في هذه المرة أن يتدرج في المدارج العلمية حتى بلغ القمة وأصبح أستاذاً أصيلاً لكرسي الصيدلة والكيمياء اعتباراً من ١٩٤٧ .

وهو يجيد اللغتين العربية والتركية كتابة وإنشاء ويحسن الفرنسية ويلم بالانكليزية ، ومؤلفاته في العلوم الكيمياوية والأحيائية كثيرة تبلغ بضعة عشر ، وكلها تشهد بطول باعه وتعمقه في البحث ، ولا يكاد ينقضي عليه عام إلا ويتحف خزانة المطبوعات العربية بمصنف جديد ، ناهيك بالمقالات الكثيرة التي دبجها ونشرتها أمهات المجلات العلمية .

وله جولات موفقة في المصطلحات العلمية صنف كراسة فيها طبعت ست مرات ، واشترك مؤخراً مع الأستاذين مرشد خاطر وحمدي الخياط بنقل معجم المصطلحات الطبية للدكتور كارفيل الى العربية باذن من مؤلفه وعدد مصطلحات هذا المعجم ينيف عن ١٤٥٠٠ كلمة .

هذا ، ومن نحتفي باستقباله في هذه الجلسة يتحلى في جانب ذلك بأكمل صفات العلماء من طيب الأحدوثة ودماثة الأخلاق وصدق وتواضع وتقوى وصلاح . والمجمع قد وُفق كل التوفيق بضمه الأستاذ الكواكبي الى عداد أعضائه العاملين وعسى أن يتم بصلاح الدين صلاحه ، فهنيئاً له بهذا العضو الجديد ، وهنيئاً للزميل الكريم على هذه الثقة الغالية التي هو أهل لها ، ولئن غاب عنا كوكب فلنا بالكواكبي أحسن عوض والسلام .

الدكتور حسني سبح

(بجل) أم (بِجِل)

لي صديق كتب لي يوماً من باريس وكان قصدها لنيل (الدكتوراه) ، يسألني من أجل صديق له طبيب افرنسي يهيئ رسالته ، عن معنى كلمة (البجل) واشتقاقها ومصدرها . وكنت أجبته بما توصلت اليه بعد التحقيق عن أمر هذه الكلمة . ومنذ مدة وأنا أجد في الصحف بين أخبارها المحلية كلمة (البجل) هذه ويستعملها أطباء الصحة والاسعاف في بلاغاتهم وتقاريرهم كأنما هي عربية الأصل .

قرأت أن أكشف على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي ما خفي من أمر هذه الكلمة تبياناً للحقيقة .

(بجل) ويقصد بها العامة (الداء الافرنجي أو الزهري) ، مع أنها في الأصل صفة لا اسم كما سترى ، شائعة الاستعمال فيما بين النهرين دجلة والفرات وبين أهل البادية . (بجل) هذه ليست عربية الأصل البتة ولا من العامي الفصيح . انما هي فارسية المنشأ . وليس لكلمة البجل العربية وما يقرب منها لفظاً من الكلمات ، معنى يحمل على الحكم بأن تكون العامية الشائعة الاستعمال مأخوذة عنها محرفة .

فالبجل العربي الأصل هو : (البهتان ، والافتراء) ، ومن معانيه (نَعَمْ ، مثل أَجَلْ) ، وبجل بمعنى حسب ، وبجلك بمعنى حسبك وعليه و (حسبك حيث انتهيت) . وأما كلمة (البجل) العامية فهي فارسية المنشأ وتكتب (پچل Pétchél) بالباء والجيم المثلثتين التحتيتين ومعناها بالفارسية (الانسان القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، البغيض الخ .) بما يوافق معنى الكلمة الافرنسية (Haïssable) تماماً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هنا — على ما أرى — جاء استعمالها لدى العامة المتاخمين للفرس فيما بين النهرين والبادية ، للمصابين بالداء الافرنجي ، لما ينجم عن هذا الداء من الحالة القذرة ، الملوثة التي تدعو للاستكراه والنفور من حامل هذه العلة .

والكلمة نفسها انتقلت الى التركية بالمعنى الفارسي تماماً فهي عند الترك أيضاً تطلق على (الرجل القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، المستوجب النفور منه) .

واذا بحثنا عن معنى كلمة (سيفليس Syphilis) الفرنسية نجدها مأخوذة عن اليونانية (Siphlos) ومعناها (Haïssable) : (المستكره ، المقيت ، المستوجب النفور منه) بمعنى كلمة (بجل) الفارسية .

فلا مجال بعد هذا أن يبحث عن اشتقاق لها في اللغة العربية وان كان العامة يقولون (مبجول) للمصاب بالزهري ظناً منهم ان (بجل) اسم (مع انها في الحقيقة صفة) .

وخير منها كلمة (مَزهُور)[١] اشتقاقاً من (الزُّهَري) وهذه من (الزُّهَرَة) النجم المعروف ، وهي عندهم إلٰهة الحب ولأن المصاب بهذا الداء انما يصاب به من (الحب الملوث) .

هذا ما كنت كتبته الى الصديق منذ حين . وفي نشره الآن على صفحات هذه المجلة العلمية ايضاح للحقيقة وفائدة لمن يشتغل بالتأليف والترجمة .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

عضو المجمع العلمي العربي

تصويب أغلاط مطبعية

وقعت في مقالة « فضل الثنائية على المعجمية » للأب مرمرجي

	صفحة	خطأ	صواب
مجلد ٢٨ جزء ٤	٥٤٢	المجميه	للمعجمية
	«	شتار	مُشتار
	٥٤٧	بك	بدء
مجلد ٢٩ جزء ١	٧٩	شعائر	سنائر
	٨٠	التنجيم	التخييم
	٨١	مفعول	معقول
	٨٢	لدغة الحية	لدغته الحية
	«	سليم	سلم
	٨٧	في جربد	في جَرْبِه

(١) وضعتها على وزن مفعول ويدل على ألم أو داء يشتكى منه في العضو . مثال (المكبود، المثون) لمن يشتكي كبده او من مثانته . فالمزهور : (للمصاب بالزهري او بالداء الافرنجي) .

ملاحظات على الجزء الرابع من المجلة

استعرتُ جزء تشرين الأول لسنة ١٩٥٣ للاطلاع على ما نشر لي أو نشر عني فانتهزت الفرصة بتصفح بعض محتوياته فبدت لي الملاحظات الآتية :

ص ٥١٦ — بيت النابغة (أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا) ٠٠ الذي في الشواهد[1] على ما أحفظه (أمست ٠٠٠ وأمسى) ٠

٥٣١ — بيت الهذلي :

ما ان يمس الأرض إلا جانب منـه وحرف الساق طي المحمل

الذي أحفظه من ديوان الحماسة (الا منكب) والحمل خطأ مطبعي صوابه (المحمل) ٠

٥٣٧ — بحث للاُستاذ حسن حسني التونسي ـ جاء فيه لفظ البيت مؤنثاً في أفعاله وضمائره المتتابعة ٠٠٠ وسيأتي ما يكشف اللثام !

٥٣٩ — البحث نفسه ـ «وأشرف على سيرها وتعليمها حكيماً» بالنصب !

٥٥٢ — «وألفوا كتب قيمة» بغير اشارة نصب !

٥٥٨ — «ويقول ابن عبدون انه يجب على ٠٠٠» ليتـه نقل (المقول) بلفظه لا بمعناه فهو أليق بالبحث ٠

٥٧٤ — سليمان ظاهر مادة (سعن) وجدنا قريباً من المعرة في سفر لنا قبل ثلاثين عاماً امواهاً تشبه الاحساء يسمونها (السعن) ٠

٥٩١ — س ١٥ «أتباع الهوى» بهمزة على الألف وهي تفيد الجمع مع أن المراد المصدر لا الجمع ! ومن المؤسف أن يكون وضع الهمزة على الألف في المطبوعات العربية فوضى وفيه من اشاعة الخطأ في الضبط ما لا يخفى ! وليت

(١) والذي في ديوان النابغة (مطبعة الهلال) : أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا . (المجمع)

الجامع تعالج هذه القضية فانها خرق على اللغة يضاف الى الخروق الاخرى ...
ومنها اهمال الياء الأخيرة فتشتبه بالألف المقصورة .

٦٠٠ — « بدليل أنه يذكر أغلاطاً لعامة الاندلسيين مثل قولهم في الدجاجة بالفتح دجاجة بالكسر » أقول نص اللغويون على تثليث الدال [1] !

٦٠١ — « وقد توافقنا مع مؤلف الجمانة » أقول ان (توافق) من أفعال المشاركة فهو يحتاج الى فاعلين و (مؤلف) هنا أحد الفاعلين وصواب التعبير (توافقت أنا ومؤلف ...) أو (توافقنا نحن ومؤلف) أو (وقع التوافق بيني وبين مؤلف) ... الا أن إقحام (مع) في أفعال المشاركة قد فشا فشواً لا يرجى تداركه ! وهذه اللهجة من رواسب العجمة !

٦٠١ — « والطعام النيء بكسر النون ، وهم ونحن نفتحها » . أقول : ونحن نكسرها على الفصيح لكن بشد الياء من دون همز .

بعده : « العقبان بضم العين والصواب كسرها » .

٦٠٢ — « كما توهمت عامة تونس كلمة بيت مؤنثة فقالوا بيت حسنة أو واسعة قياساً على بنت وأخت » ! ؟

أقول في هذا التعليل نظر ! فأهل بغداد مثلاً يؤنثون الباب والبس في آخره تاء موهمة وأهل الموصل يؤنثون الدكان والبستان والمطر ... وانما جاء الاختلاف من اختلاف الأقاليم وتأويل سكانها للألفاظ بحسب سلائقهم ولكن يجب تجنيب ذلك لغة الكتابة لا كما مر في بحث الأستاذ التونسي .

٦٠٣ — « لام (الكالئ) لام مزحلقة » أقول : الألف من تبرع المبيض أو الطابع ! وقد أجاد الأستاذ في التعليل والتوجيه .

٦٠٤ — « إذ أن السكوت » بفتح أن والصواب كسرها لتعقب (إذ) جملة لا مفرد ! بعده :

---

(١) على أن الفتح أفصح . (المجمع)

(اذا جاوز الاثنين سر فانه بِبَثّ وتكثير الوشاة قمين)

علق الأستاذ تصحيحه هكذا : « فقوله بعده وتكثير بالجر ليس له ما يعطف عليه » .

وليسمح لي سماحته أن أعلله هكذا : « لما كان (قمين) يحتاج الى متعلق مجرور بالباء تعين كون ياء المضارعة مصحفة عن الباء الجارة .

٦٠٨ — بحث (الوحدة الاسلامية) — « وأصله أن المجتهد الخالصي قد هاله ما رأى من تنافر هذه الأمة وتناحرها ... فقدم من الكاظمية الى بغداد » بل أصله أن الخالصي قدم من ايران الى العراق بعد إقامته هناك نحو ربع قرن ...

ثم تطرق الأستاذ المعلق الى آيات عد رسمها خطأ فأقول ان لكل خطأ عدّه ، نكتة ! أما (ويل للمصلين) بغير فاء فالغرض منه رمز الى مثل مشهور لا الاستشهاد بالآية !

وأما (ولا يغرنك تقلب الذين ...) فقد كانت الواو خارج القوس للعطف على ما قبلها فدخلت القوس في غفلة من المصحح ... لتوجه إليَّ سهماً !؟

وأما قوله تعالى (ومن يتعد حدود الله) بتأخير التاء فلم تقع (الجناية) في حدودي ! وقد برئت ذمتي باشارة (كذا) ولست مسؤولاً عن تصرفات غيري ...

ثم عرج الأستاذ الجليل على كتاب (الرزبة في القصيدة الأزربة) فبدا رسمها بتقديم الزاي على الراء والأصل العكس ولا بأس كما قال الشاعر :

خذا درب هرشى أو قفاها فانما كلا طرفي هرشى لهن طريق !

وأما سقوط الواو من (الا تنصروه) فداء المطابع لا يقبل الفداء !

وأما (لست منهم) من دون (في شيء) فليس من الخطأ في شيء !؟

على كل نشكر العلامة البيطار على ما تلطف به .

ولقد اشتهيت التعليق على اقتراحه عقد مؤتمر ولكن خشيت أن يجمح القلم فيجري بما لا تحتمله المجلة !؟

وفي ص ٦١١ — «خلف ديوان شعر كبير» وحقه (كبيراً) !

٦١٣ — (الشذاة) لنوع من السفن والعالق بذهني من المطالعات (شذاءة) فلتراجع [1] وأما (الاشنيام) فقد كان العلامة المغربي بحث عنه وقفيت أنا على اثره ولا أتذكر أين نشرت بحثي ؟ بان الاشنيام على ما تراءى لي كلمة مركبة من (اشت) و (يام) وأن الثانية لغة في (يم) وأن الأولى ما نعينه بالسين ... ولتراجع اللغة ... فيكون المعنى (قاعدة البحر) ثم توسع في استعمالها ...

ص ٦١٥ — (بعض كاتبها) — أرى نفسي لا تقر اضافة بعض الى جمع منكر لأن التنكير يغني عنها ولذلك لو حذفناها لم يختل المعنى فهي فضلة !

بعده «بعزب صوابه يغرب» وما ندري المقام لنعلم أيهما الصواب ؟

٦٢٠ — «حين كتبت وألقيت» بالبناء للمجهول وهنا أثارت الهمزة شجوني كما أثارتها في أوائل البحث !

٦٢١ — القاضي الأسعد ... بن الحظير» بمهملة ثم معجمة والصواب العكس ! أما القضاء فلم أر ما يفيده في الترجمة ولعله جاء من صحبة (القاضي الفاضل) فليراجع .

٦٢٤ — (الشبني) لا أتذكر أني صادفت في مطالعتي هذا الاسم لسفينة لكن صادفت (شون) و (شواني) و (شونة) .

٦٢٥ — «والغروس وجسور ورسومها» الظاهر (والجسور) .

٦٣١ — شطر (ومنّاهمُ قره القرهات) اقتصر الباحث على قوله «ان في نسخة القاهرة الترهات» وسكت عن (قره) وأرى كتبها بالتاء .

٦٤٣ — «في السابعة عشر من عمره» لعل التاء سقطت من الجزء الثاني ! بعده — بحث العاملي —

«مدرسة لم يطل عمرها بمقاومة الحكومة الحميدية لروحها العربية» أقول :

(١) جاء في التاج في مادة (شذا) ما نصه : والشذا ضرب من السفن الواحدة شذاة عن الليث ، ونقله الزجاجي في اماليه ، قال الأزهري : ولكنه ليس بعربي صحيح ، وفي المصباح : الشذاوات : سفن صغار كالزبازب الواحدة شذاوة . (المجمع)

لم يكن في العهد الحميدي روح عداء للعربية كما لم تكن روح عربية ! ؟ فلينظر سبب آخر ! !

٦٤٨ — « مفتح للسدود والمغص » بالواو وفي عبارات الأطباء بغير واو وبعده أو لا يسيل قط » قط مخصوصة بالمفي في الفصيح ·

٦٥٠ — « من ذلك اكتشافهم مادة » الاكتشاف لا يتعدى ولكنه شاع ولا يرجى تداركه !

بعده — (الميوعة) لم ترد ولكنها شاعت ولعل (التميع) يغني عنها لو أشيع وللألف دخل كبير !

٦٦٥ — يثنون على المجمع لنشر (صحيفة همام بن منبه) ذات الأهمية العظيمة » ! لم يشر الباحث الى محل نشرها ·

وفي آخر الصفحة « ان الامام احمد بن حنبل تدرسها على عبد الرزاق ··· » وعلي بالامام احمد (رضي الله عنه) أنه رحل الى اليمن ومكث فيه مدة طويلة للأخذ عن رجل اسمه عبد الرزاق فيا أتذكر كان يتشيع ! فليتني اطلعت عليها ···!

٦٦٨ — كالمذهب الشيعي الأثني عشري » بالياء في الجزء الأول ولا حاجة اليها لأن الاعراب جار على ياء النسبة في الجزء الثاني ثم ان نسبة المذهب الى جعفر مصطلح جديد في ما أرى والمعروف عند المتقدمين (مذهب الامامية) والله أعلم !

بعده — « وما كان هذا ليغرب عن علم الأستاذ » بالمعجمة والصواب بالمهملة والزاي كما ورد في القرآن (وما يعزب عن ربك ···) ·

٦٧٠ — « الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي » كتبت على هذه الرسالة رسالة هامة نشرت في عدة حلقات وخطأت نسبتها الى المجريطي ! بل هي لإخوان الصفاء وقد نصوا عليها في رسائلهم ·

٦٧٣ — (كفرتخاريم) أنا مرتاب في رسم هذه الكلمة وهي جديرة بالتحقيق والرسم على ما تستحق ·

محمود الملاح (بغداد)